میکروفیلم تهیه شد

بازبین شد
۱۳۵۴
خ ۶

کتابخانه آستان قدس

اسم کتاب توحید مفضل — عربی

مؤلف مفضل بن عمر الجعفی

خطی نستعلیق ۱۵ سطری

سال تحریر ۱۲۷۰ ق عدد اوراق ۳۹

جزء کتب اخبار شماره ۴۶۱

شماره عمومی ۱۹۵۶ شماره قبض

واقف میرزا رضا خان نائینی تاریخ وقف مرداد ۱۳۱۱

طول ۲۱ عرض ۱۳ سانتیمتر قفسه

۲۱۸

وقف مرحوم میرزا رضا خان نائینی قاضی نور بکتابخانه مبارک
۱۵ امرداد ۱۳۱۱

* کتابخانه رضوان *

(تأسیس میرزا رضا خان نائینی)
قاضی نور در سال ۱۳۴۹ قمری

اسم کتاب ...
اسم مصنف ...
بخط ... ۱۲۷۰
باندازه ... سانتیم طول و سیزده عرض
جزو کتب اخبار

نمرهٔ قفسه ...
نمرهٔ کتابخانه ... ۳۲۳
برای استفاده عموم افتتاح میشود

بازبین شد
خ ۱۳۵۳

کتابخانه رضوان ۱۳۴۹
تأسیس میرزا رضا خان نائینی قاضی نور
LIBRAIRIE REZVAN

بازبین شد
خ ۱۳۵۳

کتابخانه آستان قدس
موزه خطی

بسم الله الرحمن الرحیم

[illegible] قضا و قدر [illegible]

[illegible] نسل [illegible]

[illegible] الحسب [illegible]

[illegible] القمر [illegible]

[illegible] علیه السلام [illegible]

[illegible] یقین [illegible]

[illegible] الدال علی [illegible]

[illegible] الصلوة [illegible]

[illegible] الصلوة والسلام [illegible]

زین العابدین عاملی الحسینی

[illegible]

[illegible] بن المرحوم [illegible]

[illegible] علیه السلام [illegible] الطاهرین [illegible]

[illegible] الشهید المظلوم [illegible]

الحسین علیه السلام [illegible]

میرزا کمال الدین صادق بن المرحوم سید قوام الدین محمد بن المرحوم [illegible] سید کمال الدین [illegible]

سید قوام الدین محمد بن المرحوم سید نظام الدین علی بن المرحوم [illegible] الطاهرین [illegible]

[illegible] کمال الدین صادق بن سید عبدالله بن سید محمد بن سید علی بن سید [illegible]

سید قوام الدین صادق بن سید کمال الدین [illegible] بن [illegible] بن الحسن بن الحسین بن [illegible] الامام [illegible]

سید احمد بن الحسین بن سید علی بن عبدالله بن محمد [illegible] علیه السلام

[illegible]

و صلی الله علی رسوله و آله الطاهرین [illegible] محرم الحرام ۱۲۷۹

از مرحوم میرزا [illegible] جعفر [illegible]

[illegible] مرحوم میرزا [illegible]

و الده [illegible]

[illegible] میرزا رحیم [illegible]

[illegible] مرحوم میرزا [illegible]

و میرزا [illegible] مرحوم میرزا ابراهیم [illegible]

و میرزا [illegible] و میرزا عبدالکریم [illegible]

و میرزا محمدرضا و میرزا محمود [illegible]

[illegible]

[illegible]

و لکن لا ادری کم عمره [illegible] قال [illegible]

[illegible]

و ما [illegible]

قال العلامة [illegible] فی کتابه المسمی بکشف الرجال [illegible]

الجعفی [illegible] الضعیف [illegible]

[illegible]

[illegible]

علیهما السلم [illegible]

[illegible]

کتابخانه آستان قدس
ویژه خطی

[illegible]

۱۲۷۹

[illegible]

کتابخانه آستان قدس
کتابخانه آستان قدس
ویژه خطی

توحيد مفضل بن عمر بسم الله الرحمن الرحيم از حضرت صادق آل محمد عليهم السلام

روى محمد بن سنان قال حدثنا مفضل بن عمر قال كنت ذات يوم بعد العصر جالسا في الروضة بين القبر والمنبر
وانا افكر فيما خص الله به سيدنا محمدا صلى الله عليه وآله من الشرف والفضائل وما منحه واعطاه وشرفه وحباه مما لا يعرفه
الجمهور من الامة وما جهلوه من فضله وعظيم منزلته وخطير مرتبته فاني لكذلك اذ اقبل ابن ابي العوجاء
فجلس بحيث اسمع كلامه فلما استقر به المجلس اذ جاء رجل من اصحابه فجلس اليه فتكلم ابن ابي العوجاء
فقال لقد بلغ صاحب هذا القبر العز بكماله وحاز الشرف بجميع خصاله ونال الحظوة في كل احواله فقال له
صاحبه انه كان فيلسوفا ادعى المرتبة العظمى والمنزلة الكبرى واتى على ذلك بمعجزات بهرت العقول وضلت فيها الاحلام
وغاصت الالباب على طلب علمها في بحار الفكر فرجعت خاسئات وهي حسر فلما استجاب لدعوته العقلاء والفصحاء والخطباء
دخل الناس في دينه افواجا فقرن اسمه باسم ناموسه فصار يهتف به على رؤوس الصوامع في جميع البلدان
والمواضع التي انتهت اليها دعوته وعلت بها كلمته وظهرت فيها حجته برا وبحرا وسهلا وجبلا في كل يوم وليلة
خمس مرات

ای بعد صلوة العصر
ابن ابی العوجاء
یعنی از ملاحده و ...

خمس مرات مرددا في الاذان والاقامة ليتجدد في كل ساعة ذكره ولئلا يخمل امره فقال ابن ابي العوجاء
دع ذكر محمد فقد تحير فيه عقلي وضل في امره فكري وحدثنا في ذكر الاصل الذي يمشي به ثم ذكر ابتداء الاشياء
وزعم ان ذلك باهمال لا صنعة فيه ولا تقدير ولا صانع له ولا مدبر بل الاشياء تتكون من ذاتها بلا مدبر
وعلى هذا كانت الدنيا لم تزل ولا تزال قال المفضل فلم املك نفسي غضبا وغيظا وحنقا فقلت يا عدو الله
الحدت في دين الله وانكرت الباري جل قدسه الذي خلقك في احسن تقويم وصورك في اتم صورة
ونقلك في احوالك حتى بلغ بك الى حيث انتهيت فلو تفكرت في نفسك وصدقك لطيف حسك لوجدت
دلائل الربوبية وآثار الصنعة فيك قائمة وشواهده جل وتقدس في خلقك واضحة وبراهينه لك لائحة
فقال يا هذا ان كنت من اهل الكلام كلمناك فان ثبت لك حجة تبعناك وان لم تكن منهم فلا كلام لك
وان كنت من اصحاب جعفر بن محمد الصادق فما هكذا يخاطبنا ولا بمثل دليلك يجادل فينا ولقد سمع من كلامنا
اكثر مما سمعت فما افحش في خطابنا ولا تعدى في جوابنا وانه الحليم الرزين العاقل الرصين لا يعتريه خرق ولا طيش
ولا نزق يسمع كلامنا ويصغي الينا ويستعرف حجتنا حتى اذا استفرغنا ما عندنا وظننا انا قد قطعناه
ادحض حجتنا بكلام يسير وخطاب قصير يلزمنا به الحجة ويقطع العذر ولا نستطيع لجوابه ردا فان كنت من اصحابه
فخاطبنا بمثل خطابه قال المفضل فخرجت من المسجد محزونا مفكرا فيما بلي به الاسلام واهله من كفر هذه
العصابة وتعطيلها فدخلت على مولاي صلوات الله عليه فرآني منكسرا فقال ما لك فاخبرته بما سمعت من الدهريين
وبما رددت عليهما فقال عليه السلام يا مفضل لالقين اليك من حكمة الباري جل وعلا وتقدس اسمه في خلق

يتجدد
اتيت لنا بحجة
ابن ابي العوجاء

والسباع والبهائم والطير والهوام وكل ذي روح من الأنعام والنبات والشجر المثمر وغير ذات الثمر
والبقول والمأكول من ذلك وغير المأكول ما يعتبر به المعتبرون ويسكن إلى معرفته المؤمنون ويتحير فيه الملحدون
فبكر علي غداً قال المفضل فانصرفت من عنده فرحاً مسروراً وطالت علي تلك الليلة انتظاراً لما وعدني
به فلما أصبحت غدوت فاستؤذن لي فدخلت وقمت بين يديه فأمرني بالجلوس فجلست ثم نهض إلى حجرة
كان يخلو فيها فنهضت بنهوضه فقال اتبعني فتبعته فدخل ودخلت خلفه فجلس وجلست بين يديه فقال يا مفضل
كأني بك وقد طالت عليك هذه الليلة انتظاراً لما وعدتك فقلت أجل يا مولاي فقال يا مفضل
إن الله كان ولا شيء قبله وهو باق ولا نهاية له فله الحمد على ما ألهمنا وله الشكر على ما منحنا فقد خصنا من العلوم
بأعلاها ومن المعالي بأسناها واصطفانا على جميع الخلق بعلمه وجعلنا مهيمنين عليهم بحكمه فقلت يا مولاي أتأذن لي
أن أكتب ما تشرحه وكنت أعددت معي ما أكتب فيه فقال لي افعل يا مفضل إن الشكاك جهلوا الأسباب
والمعاني في الخلقة وقصرت أفهامهم عن تأمل الصواب والحكمة فيما ذرأ الباري جل قدسه وبرأ من صنوف خلقه
في البر والبحر والسهل والوعر فخرجوا بقصر علومهم إلى الجحود وبضعف بصائرهم إلى التكذيب والعنود حتى أنكروا
خلق الأشياء وادعوا أن كونها بالإهمال لا صنعة فيها ولا تقدير ولا حكمة من مدبر ولا صانع تعالى الله عما يصفون
وقاتلهم الله أنى يؤفكون فهم في ضلالهم وعماهم وتحيرهم بمنزلة عميان دخلوا داراً قد بنيت أتقن بناء
وأحسنه وفرشت بأحسن الفرش وأفخره وأعد فيها ضروب الأطعمة والأشربة والملابس والمآرب
التي يحتاج إليها لا يستغنى عنها ووضع كل شيء من ذلك موضعه على صواب من التقدير وحكمة من التدبير فجعلوا

يترددون

يترددون فيها يميناً وشمالاً ويطوفون بيوتها إدباراً وإقبالاً محجوبة أبصارهم عنها لا يبصرون بنية
الدار وما أعد فيها وربما عثر بعضهم بالشيء الذي قد وضع موضعه وأعد للحاجة إليه وهو جاهل
للمعنى فيه ولما أعد ولماذا جعل كذلك فتذمر وتسخط وذم الدار وبانيها فهذه حال هذا الصنف
في إنكارهم ما أنكروا من أمر الخلقة وثبات الصنعة فإنهم لما عزبت أذهانهم عن معرفة الأسباب والعلل في الأشياء
صاروا يجولون في هذا العالم حيارى فلا يفهمون ما هو عليه من إتقان خلقته وحسن صنعته وصواب هيئته
وربما وقف بعضهم على الشيء لجهل سببه والإرب فيه فيسرع إلى ذمه ووصفه بالإحالة والخطأ
كالذي أقدمت عليه المانوية الكفرة وجاهرت به الملحدة المارقة الفجرة وأشباههم من أهل الضلال المعللين أنفسهم
بالمحال فيحق على من أنعم الله عليه بمعرفته وهداه لدينه ووفقه لتأمل التدبير في صنعة الخلائق والوقوف على ما خلقوا
له من لطيف التدبير وصواب التعبير بالدلالة القائمة الدالة على صانعها أن يكثر حمد الله مولاه على ذلك ويرغب إليه
في الثبات عليه والزيادة منه فإنه جل اسمه يقول لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد
يا مفضل أول العبر والأدلة على الباري جل قدسه تهيئة هذا العالم وتأليف أجزائه ونظمها على ما هي عليه
فإنك إذا تأملت العالم بفكرك وميزته بعقلك وجدته كالبيت المبني المعد فيه جميع ما يحتاج إليه عباده فالسماء
مرفوعة كالسقف والأرض ممدودة كالبساط والنجوم منضودة كالمصابيح والجواهر مخزونة كالذخائر وكل شيء فيها
لشأنه معد والإنسان كالمملك ذلك البيت والمخول جميع ما فيه وضروب النبات مهيأة لمآربه وصنوف
مصروفة في مصالحه ومنافعه ففي هذا دلالة واضحة على أن العالم مخلوق بتقدير وحكمة ونظام

وملائمة وان الخالق له واحد وهو الذي الفه ونظمه بعضا الى بعض جل قدسه وتعالى جده وكرم وجهه ولا اله غيره
تعالى عما يقول الجاحدون وجل وعظم عما ينتحله الملحدون نبتدئ **يا مفضل** بذكر خلق الانسان
فاعتبر به فاول ذلك ما يدبر به الجنين في الرحم وهو محجوب في ظلمات ثلث ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة حيث لا حيلة
عنده في طلب الغذاء ولا دفع الاذى ولا استجلاب منفعة ولا دفع مضرة فانه يجري اليه من دم الحيض ما يغذوه كما يغذو
الماء النبات ولا يزال ذلك غذاوه حتى اذا كمل خلقه واستحكم بدنه وقوي اديمه على مباشرة الهواء وبصره على
ملاقات الضياء هاج الطلق بامه فازعجه اشد ازعاج واعنفه حتى يولد فاذا ولد صرف ذلك الدم الذي
كان يغذوه من دم امه الى ثدييها فانقلب الطعم واللون الى ضرب آخر من الغذاء وهو اشد موافقة للمولود من الدم
فيوافيه في وقت حاجته اليه فحين يولد قد تلمظ وحرك شفتيه طلبا للرضاع فهو يجد ثدي امه كالاداوتين المعلقتين
لحاجته فلا يزال يتغذى باللبن ما دام رطب البدن رقيق الامعاء لين الاعضاء حتى اذا تحرك واحتاج الى غذاء
فيه صلابة ليشتد ويقوى بدنه طلعت له الطواحن من الاسنان والاضراس ليمضغ به الطعام فيلين عليه ويسهل له اساغته
فلا يزال كذلك حتى يدرك فاذا ادرك وكان ذكرا طلع الشعر في وجهه فكان ذلك علامة الذكر وعز الرجل الذي
يخرج به من حد الصبي وشبه النساء وان كانت انثى يبقى وجهها نقيا من الشعر لتبقى لها البهجة والنضارة التي تحرك الرجال
لما فيه دوام النسل وبقائه **اعتبر يا مفضل** فيما يدبر به الانسان في هذه الاحوال المختلفة هل ترى يمكن ان يكون
بالاهمال افرأيت لو لم يجر اليه ذلك الدم وهو في الرحم الم يكن سيذوي ويجف كما يجف النبات اذا فقد
الماء ولو لم يزعجه المخاض عند استحكامه الم يكن سيبقى في الرحم كالموؤد في الارض ولو لم يوافقه اللبن مع

غذاوه

ولادته

ولادته الم يكن سيموت جوعا او يتغذى بغذاء لا يلائمه ولا يصلح عليه بدنه ولو لم يطلع عليه الاسنان في وقتها
الم يكن سيمتنع عليه مضغ الطعام واساغته او يقيمه على الرضاع فلا يشتد بدنه ولا يصلح لعمل ثم كان تشغل
امه بنفسه عن تربية غيره من الاولاد ولو لم يخرج الشعر في وجهه الم يكن سيبقى في هيئة الصبيان والنساء فلا ترى
له جلالة ولا وقارا فقال المفضل فقلت يا مولاي فقد رأيت من يبقى على حالته ولا ينبت الشعر في وجهه وان بلغ
حال الكبر فقال ذلك بما قدمت ايديهم وان الله ليس بظلام للعبيد فمن هذا الذي يرصده حتى يوافيه بكل شيء
من هذه المآرب الا الذي انشاه خلقا بعد ان لم يكن ثم توكل له بمصلحته بعد ان كان فان كان الاهمال ياتي بمثل هذا
التدبير فقد يجب ان يكون العمد والتقدير ياتيان بالخطاء والمحال لانهما ضد الاهمال وهذا فظيع من القول
وجهل من قائله لان الاهمال لا ياتي بالصواب والتضاد لا ياتي بالنظام تعالى الله عما يقول الملحدون علوا كبيرا
ولو كان المولود يولد فهما عاقلا لانكر العالم عند ولادته ولبقي حيران تائه العقل اذا رأى ما لم يعرف
وورد عليه ما لم ير مثله من اختلاف صور العالم من البهائم والطير الى غير ذلك مما يشاهده ساعة بعد ساعة ويوما
بعد يوم واعتبر ذلك بان من سبي من بلد الى بلد وهو عاقل يكون كالواله الحيران فلا يسرع في تعلم الكلام
وقبول الادب كما يسرع الذي يسبى صغيرا غير عاقل ثم لو ولد عاقلا كان يجد غضاضة اذا رأى
نفسه محمولا مرضعا معصبا بالخرق مسجى في المهد لانه لا يستغني عن هذا كله لرقة بدنه ورطوبته حين يولد
ثم لا يوجد له من الحلاوة والوقع من القلوب ما يوجد للطفل فصار يخرج الى الدنيا غبيا غافلا عما فيه اهله
فيلقى الاشياء بذهن ضعيف ومعرفة ناقصة ثم لا يزال يتزايد في المعرفة قليلا قليلا وشيئا بعد شيء وحالا بعد حال

العمد

من التيه

کتابخانه آستان قدس
رضوی

حتى يألف الأشياء ويتمرن ويستمر عليها فيخرج من حد التأمل لها والحيرة فيها إلى التصرف والاضطرار
في المعاش بعقله وحيلته وإلى الاعتبار والطاعة والسهو والغفلة والمعصية وفي هذا أيضا وجوه أخر
فإنه لو كان يولد تام العقل مستقلا بنفسه لذهب موضع حلاوة تربية الأولاد وما قدر أن يكون للوالدين
في الاشتغال بالولد من المصلحة وما يوجب التربية للآباء على الأبناء من المكافاة بالبر والعطف عليهم عند حاجتهم
إلى ذلك منهم ثم كان الأولاد لا يألفون آباءهم ولا يألف الآباء أبناءهم لأن الأولاد كانوا يستغنون عن تربية الآباء
وحياطتهم فيتفرقون عنهم حين يولدون فلا يعرف الرجل أباه وأمه ولا يمتنع من نكاح أمه وأخته وذوات المحارم
إذ كان لا يعرفهن وأقل ما في ذلك من القباحة بل هو أشنع وأعظم وأفظع وأقبح وأبشع لو خرج المولود من بطن أمه
وهو يعقل أن يرى منها ما لا يحل له ولا يحسن به أن يراه أفلا ترى كيف أقيم كل شيء من الخلقة على غاية الصواب وخلا من الخطأ
دقيقه وجليله اعرف يا مفضل ما للأطفال في البكاء من المنفعة واعلم أن في أدمغة الأطفال رطوبة إن بقيت فيها أحدثت
عليهم أحداثا جليلة وعللا عظيمة من ذهاب البصر وغيره فالبكاء يسيل تلك الرطوبة من رءوسهم فيعقبهم ذلك الصحة
في أبدانهم والسلامة في أبصارهم أفليس قد جاز أن يكون الطفل ينتفع بالبكاء ووالداه لا يعرفان ذلك فهما دائبان
ليسكتانه ويتوخيان في الأمور مرضاته لئلا يبكي وهما لا يعلمان أن البكاء أصلح له وأجمل عاقبة فهكذا يجوز أن
يكون في كثير من الأشياء منافع لا يعرفها القائلون بالإهمال ولو عرفوا ذلك لم يقضوا على الشيء أنه لا منفعة فيه من أجل
أنهم لا يعرفونه ولا يعلمون السبب فيه فإن كل ما لا يعرفه المنكرون يعلمه العارفون وكثير مما يقصر عنه علم المخلوقين محيط به علم
الخالق جل قدسه وعلت كلمته فأما ما يسيل من أفواه الأطفال من الريق ففي ذلك خروج الرطوبة التي لو بقيت في أبدانهم

لأحدثت

لأحدثت عليهم الأمور العظيمة كمن تراه قد غلبت عليه الرطوبة فأخرجته إلى حد البله والجنون والتخليط إلى غير ذلك
من الأمراض المتلفة كالفالج واللقوة وما أشبههما فجعل الله تلك الرطوبة تسيل من أفواههم في صغرهم لما لهم في ذلك
من الصحة في كبرهم فتفضل على خلقه بما جهلوه ونظر لهم بما لم يعرفوه ولو عرفوا نعمه عليهم لشغلهم ذلك عن التمادي في معصيته
فسبحانه ما أجل نعمته وأسبغها على المستحقين وغيرهم من خلقه وتعالى عما يقول المبطلون علوا كبيرا انظر الآن يا مفضل
كيف جعلت آلات الجماع في الذكر والأنثى جميعا على ما يشاكل ذلك فجعل للذكر آلة ناشرة تمتد حتى تصل النطفة إلى الرحم
إذ كان محتاجا إلى أن يقذف ماءه في غيره وخلق للأنثى وعاء قعرا ليشتمل على الماءين جميعا ويحتمل الولد ويتسع له ويصونه
حتى يستحكم أليس ذلك من تدبير حكيم لطيف سبحانه وتعالى عما يشركون فكر يا مفضل في أعضاء البدن أجمع
وتدبير كل منها للإرب فاليدان للعلاج والرجلان للسعي والعينان للاهتداء والفم للاغتذاء والمعدة للهضم والكبد
للتخليص والمنافذ لتنفيذ الفضول والأوعية لحملها والفرج لإقامة النسل وكذلك جميع الأعضاء إذا تأملتها وأعملت فكرك فيها
ونظرك وجدت كل شيء منها قد قدر لشيء على صواب وحكمة قال المفضل فقلت يا مولاي إن قوما يزعمون أن هذا
من فعل الطبيعة فقال سلهم عن هذه الطبيعة أهي شيء له علم وقدرة على مثل هذه الأفعال أم ليست كذلك فإن أوجبوا لها
العلم والقدرة فما يمنعهم من إثبات الخالق فإن هذه صنعته وإن زعموا أنها تفعل هذه الأفعال بغير علم ولا عمد وكان في أفعالها
ما قد تراه من الصواب والحكمة علم أن هذا الفعل للخالق الحكيم وأن الذي سموه طبيعة هو سنة في خلقه الجارية على ما أجراها عليه
فكر يا مفضل في وصول الغذاء إلى البدن وما فيه من التدبير فإن الطعام يصير إلى المعدة فتطبخه وتبعث
بصفوه إلى الكبد في عروق دقاق واشجة بينها قد جعلت كالمصفي للغذاء لكيلا يصل إلى الكبد منه شيء

فينكأها وذلك ان الكبد رقيقة لا تحتمل العنف ثم ان الكبد تقبله فتستحيل بلطف التدبير دما وينفذه الى البدن
كله في مجاري مهيأة لذلك بمنزلة المجاري التي تهيأ للماء حتى يطرد في الارض كلها وينفذ ما يخرج منه من الخبث
والفضول الى مغايض قد اعدت لذلك فما كان منه من جنس المرة الصفراء جرى الى المرارة وما كان
من جنس السوداء جرى الى الطحال وما كان من البلة والرطوبة جرى الى المثانة فتأمل حكمة التدبير في تركيب البدن
ووضع هذه الاعضاء منه مواضعها واعداد هذه الاوعية فيه لتحمل تلك الفضول لئلا تنتشر في البدن فتسقمه وتنهكه
فتبارك من احسن التقدير واحكم التدبير وله الحمد كما هو اهله ومستحقه قال المفضل فقلت صف نشوء الابدان
ونموها حالا بعد حال حتى تبلغ التمام والكمال فقال عليه السلام اول ذلك تصوير الجنين في الرحم حيث لا تراه
عين ولا تناله يد ويدبره حتى يخرج سويا مستوفيا جميع ما فيه قوامه وصلاحه من الاحشاء والجوارح والعوامل الى ما في تركيب
اعضائه من العظام واللحم والشحم والمخ والعصب والعروق والغضاريف فاذا خرج الى العالم تراه كيف ينمو بجميع
اعضائه وهو ثابت على شكل وهيئة لا تتزايد ولا تنقص الى ان يبلغ اشده ان مد في عمره او يستوفي مدته
قبل ذلك هل هذا الا من لطيف التدبير والحكمة يا مفضل انظر الى ما خص به الانسان في خلقه تشريفا وتفضيلا
على البهائم فانه خلق ينتصب قائما ويستوي جالسا ليستقبل الاشياء بيديه وجوارحه ويمكنه العلاج والعمل بهما فلو كان
مكبوبا على وجهه كذات الاربع لما استطاع ان يعمل شيئا من الاعمال انظر يا مفضل الى هذه الحواس التي خص بها
الانسان في خلقه وشرف بها على غيره كيف جعلت العينان في الرأس كالمصابيح فوق المنارة ليتمكن من مطالعة
الاشياء ولم تجعل في الاعضاء التي تحتهن كاليدين والرجلين فتعرضها الآفات ويصيبها من مباشرة العمل والحركة ما يعللها

ويؤثر فيها

ويؤثر فيها وينقص منها ولا في الاعضاء التي وسط البدن كالبطن والظهر فيعسر تقلبها واطلاعها نحو الاشياء
فلما لم يكن لها في شيء من هذه الاعضاء موضع كان الرأس اسنى المواضع للحواس وهو بمنزلة الصومعة لها
فجعل الحواس خمسا تلقى خمسا لكي لا يفوتها شيء من المحسوسات فخلق البصر ليدرك الالوان فلو كانت الالوان
ولم يكن بصر يدركها لم يكن فيها منفعة وخلق السمع ليدرك الاصوات فلو كانت الاصوات ولم يكن
سمع يدركها لم يكن فيها ارب وكذلك سائر الحواس ثم هذا يرجع متكافيا فلو كان بصر ولم يكن الوان لما كان
للبصر معنى ولو كان سمع ولم يكن اصوات لم يكن للسمع موضع فانظر كيف قدر بعضها يلقى بعضا فجعل لكل
حاسة محسوسا يعمل فيه ولكل محسوس حاسة تدركه ومع هذا فقد جعلت اشياء متوسطة بين الحواس والمحسوسات
لا تتم الحواس الا بها كمثل الضياء والهواء فانه لو لم يكن ضياء يظهر اللون للبصر لم يكن البصر يدرك اللون
ولو لم يكن هواء يؤدي الصوت الى السمع لم يكن السمع يدرك الصوت فهل يخفى على من صح نظره واعمل
فكره ان مثل هذا الذي وصفت من تهيئة الحواس والمحسوسات بعضها يلقى بعضا وتهيئة اشياء اخر بها تتم الحواس
لا يكون الا بعمد وتقدير من لطيف خبير فكر يا مفضل فيمن عدم البصر من الناس وما يناله من الخلل في اموره
فانه لا يعرف موضع قدمه ولا يبصر ما بين يديه فلا يعرف بين الالوان وبين المنظر الحسن والقبيح ولا يرى
حفرة ان هجم عليها ولا عدوا ان اهوى اليه بسيف ولا يكون له سبيل الى ان يعمل شيئا من هذه الصناعات
مثل الكتابة والتجارة والصياغة حتى انه لولا نفاذ ذهنه لكان بمنزلة الحجر الملقى وكذلك من عدم السمع
يختل في امور كثيرة فانه يفقد روح المخاطبة والمحاورة ويعدم لذة الاصوات واللحون المشجية المطربة

ويعظم المؤونة على الناس في مداراته حتى يتبين مرادُه ولا يسمع شيئاً من اخبار الناس واحاديثهم حتى يكون كالغائب وهو شاهد
وكالميت وهو حيّ فاما من عدم العقل فانّه يلحق بمنزلة البهائم بل يجهل كثيراً مما يهتدي اليه البهائم افلا ترى
كيف صارت الجوارح والعقل وسائر الخلال التي بها صلاح الانسان والتي لو فقد منها شيئاً لعظم ما يناله في ذلك
من الخلل توافي خلقه على التمام حتى لا يفقد شيئاً منها فلم كان كذلك الا انه خلق بعلم وتقدير قال المفضل
فقلت يا مولاي فلم صار بعض الناس يفقد شيئاً من هذه الجوارح فيناله في ذلك مثل ما وصفته يا مولاي
قال ذلك للتاديب والموعظة لمن يحلّ ذلك به ولغيره بسببه كما يؤدب الملوك الناس للتنكيل والموعظة
فلا ينكر ذلك عليهم بل يحمد من رايهم ويتصوب من تدبيرهم ثم ان للذين تنزل بهم هذه البلايا من الثواب
بعد الموت ان شكروا وانابوا ما يستصغرون معه ما ينالهم منها حتى انّهم لو خيّروا بعد الموت لاختاروا
ان يردّوا الى البلايا ليزدادوا من الثواب فكر يا مفضل في الاعضاء التي خلقت افراداً وازواجاً
في ذلك من الحكمة والتقدير والصواب في التدبير فالراس مما خلق فرداً ولم يكن للانسان صلاح في ان
يكون اكثر من واحد الا ترى انّه لو اضيف الى راس الانسان راس آخر لكان ثقلاً عليه من غير حاجة
اليه لان الحواس التي يحتاج اليها مجتمعة في راس واحد ثم كان الانسان ينقسم قسمين لو كان له راسان
فان تكلم من احدهما كان الآخر معطّلاً لا ارب فيه ولا حاجة اليه وان تكلم منهما جميعاً بكلام
كان احدهما فضلاً لا يحتاج اليه وان تكلم باحدهما بغير الذي تكلم به من الآخر لم يدر السامع باي
ذلك ياخذ واشباه هذا من الاخلاط واليدان مما خلق ازواجاً ولم يكن للانسان خير في ان يكون

له يد واحدة

له يد واحدة لان ذلك كان يخل به فيما يحتاج الى معالجته من الاشياء الا ترى ان النجار والبناء لو شلّت احدى يديه لا يستطيع
ان يعالج صناعته وان تكلّف ذلك لم يحكمه ولم يبلغ منه ما يبلغه اذا كانت له يدان تتعاونان على العمل اطل الفكر يا مفضل
في الصوت والكلام وتهيئة آلاته في الانسان فالحنجرة كالانبوبة لخروج الصوت واللسان والشفتان والاسنان
لصياغة الحروف والنغم الا ترى ان من سقطت اسنانه لم يقم السين ومن سقطت شفته لم يصحح الفاء ومن ثقل
لسانه لم يفصح الراء واشبه شيء بذلك المزمار الاعظم فالحنجرة تشبه قصبة المزمار والرية تشبه الزق الذي
ينفخ فيه لتدخله الريح والعضلات التي تقبض الرية ليخرج الصوت كالاصابع التي تقبض على الزق حتى تجري
الريح في المزمار والشفتان والاسنان التي تصوغ الصوت حروفاً ونغماً كالاصابع التي تختلف في فم المزمار
فتصوغ صفيره الحاناً غير انّه وان كان مخرج الصوت يشبه المزمار بالدلالة والتعريف فانّ المزمار بالحقيقة
هو المشبه بمخرج الصوت قد انباتك بما في الاعضاء من الغناء في صنعة الكلام واقامة الحروف وفيها مع
الذي ذكرت لك مآرب اخرى فالحنجرة ليسلك فيها هذا النسيم الى الرية وتروح على الفؤاد بالنفس الدائم المتتابع
الذي لو احتبس شيئاً يسيراً لهلك الانسان وباللسان تذاق الطعوم فيميّز بينها ويعرف كل واحد منها حلوها من مرّها
ومالحها من عذبها وطيبها من خبيثها وفيه مع ذلك معونة على اساغة الطعام والشراب والاسنان لمضغ الطعام
حتى تلين وتسهل اساغته وهي مع ذلك كالسند للشفتين تمسكهما وتدعمهما من داخل واعتبر ذلك بانك
ترى من سقطت اسنانه مسترخي الشفة ومضطربها وبالشفتين يترشف الشراب حتى يكون الذي يصل الى الجوف
منه بقصد وقدر لا يثج ثجاً فيغص به الشارب او ينكا في الجوف ثم هما بعد ذلك كالباب المطبق على الفم

يقضمها الآن إذا شاء ويطبقها إذا ذكره فيما وصفنا من هذا بيان أن كل واحد من هذه الأعضاء قد يصرف وينقسم إلى
الأوجه من المنافع كما تصرف الأداة الواحدة في أشياء وذلك كالفأس يستعمل في النجارة والحفر وغيرهما
من الأعمال ولو رأيت الدماغ إذا كشف عنه لرأيته قد لف بحجب بعضها فوق بعض لتصونه من الأعراض وتمسكه فلا يضطرب
ولرأيت عليه الجمجمة بمنزلة البيضة كيما تقيه هد الصدمة والنكبة التي ربما وقعت في الرأس ثم جللت الجمجمة بالشعر حتى صار
بمنزلة الفرو للرأس يستره من شدة البرد والحر فمن حصن الدماغ هذا التحصين إلا الذي خلقه وجعله ينبوع الحس والمستحق
للحيطة والصيانة بعلو منزلته من البدن وارتفاع درجته وخطير مرتبته تأمل يا مفضل الجفن على العين كيف جعل كالغشاء والأشفار
كالأشراج وأولجها في هذا الغار وأظلها بالحجاب وما عليه من الشعر يا مفضل من غيب الفؤاد في جوف الصدر
وكساه المدرعة التي هي غشاؤه وحصنه بالجوانح وما عليها من اللحم والعصب لئلا يصل إليه ما ينكؤه من جعل في الحلق
منفذين أحدهما لمخرج الصوت وهو الحلقوم المتصل بالرئة والآخر منفذ للغذاء وهو المريء المتصل بالمعدة الموصل للغذاء
إليها وجعل على الحلقوم طبقا يمنع الطعام أن يصل إلى الرئة فيقتل من جعل الرئة مروحة للفؤاد لا تفتر ولا تخل
لكيلا تتحيز الحرارة في الفؤاد فتؤدي إلى التلف من جعل لمنافذ البول والغائط أشراجا تضبطهما لئلا يجريا جريانا
دائما فيفسد على الإنسان عيشه فكم عسى أن يحصي المحصي من هذا بل الذي لا يحصى منه ولا يعلمه الناس أكثر من جعل المعدة
عصبانية شديدة وقدرها لهضم الطعام الغليظ ومن جعل الكبد رقيقة ناعمة لقبول الصفو اللطيف من الغذاء
ولتهضم وتعمل ما هو ألطف من عمل المعدة إلا الله القادر أترى الإهمال يأتي بشيء من ذلك كلا بل هو
تدبير من مدبر حكيم قادر عليم بالأشياء قبل خلقه إياها لا يعجزه شيء وهو اللطيف الخبير فكر يا مفضل لم صار المخ

الرقيق محصنا في أنابيب العظام هل ذلك إلا ليحفظه ويصونه لم صار الدم السائل محصورا في العروق
بمنزلة الماء في الظروف إلا ليضبطه فلا يفيض لم صارت الأظفار على أطراف الأصابع إلا وقاية لها ومعونة
على العمل لم صار داخل الأذن ملتويا كهيئة الكوكب إلا ليطرد فيه الصوت حتى ينتهي إلى السمع وليتكسر حمة الريح
فلا ينكأ في السمع لم حمل الإنسان على فخذيه وأليتيه هذا اللحم إلا ليقيه من الأرض فلا يتألم من الجلوس عليهما كما يألم
من نحل جسمه وقل لحمه إذا لم يكن بينه وبين الأرض حائل يقيه صلابتها من جعل الإنسان ذكرا وأنثى إلا من خلقه
متناسلا ومن خلقه متناسلا إلا من خلقه مؤملا ومن أعطاه آلات العمل إلا من خلقه عاملا ومن خلقه عاملا إلا من جعله محتاجا
ومن جعله محتاجا إلا من ضربه بالحاجة ومن ضربه بالحاجة إلا من توكل بتقويمه ومن خصه بالفهم إلا من أوجب له الجزاء
ومن وهب له الحيلة إلا من ملكه الحول ومن ملكه الحول إلا من ألزمه الحجة من يكفيه ما لا تبلغه حيلته إلا من لا يبلغ مدى شكره
فكر وتدبر ما وصفته هل تجد الإهمال على هذا النظام والترتيب تبارك الله تعالى عما يصفون أصف
لك يا مفضل الفؤاد اعلم أن فيه ثقبا موجهة نحو الثقب التي في الرئة تروح عن الفؤاد حتى لو اختلفت
تلك الثقب وتزايل بعضها عن بعض لما وصل الروح إلى الفؤاد ولهلك الإنسان أفيستجيز ذو فكر وروية أن يزعم
أن مثل هذا يكون بالإهمال ولا يجد شاهدا من نفسه ينزعه عن هذا القول لو رأيت فردا من مصراعين فيه كلاب أكنت
تتوهم أنه جعل كذلك بلا معنى بل كنت تعلم ضرورة أنه مصنوع يلقى فردا آخر فيبرزه ليكون في اجتماعهما ضرب
من المصلحة وهكذا تجد الذكر من الحيوان كأنه فرد من زوج مهيأ من فرد أنثى فيلتقيان لما فيه دوام النسل وبقاؤه
فتبا وخيبة وتعسا لمنتحلي الفلسفة كيف عميت قلوبهم عن هذه الخلقة العجيبة حتى أنكروا التدبير والعمد فيها

لو كان فرج الرجل مسترخيا كيف كان يصل الى قعر الرحم حتى يفرغ النطفة فيه ولو كان منعظا ابدا كيف كان
يتقلب في الفراش او يمشي بين الناس وشي شاخص امامه ثم يكون في ذلك مع قبح المنظر تحريك الشهوة في كل وقت
من الرجال والنساء جميعا فقدر الله جل اسمه ان يكون اكثر ذلك لا يبدو للبصر في كل وقت ولا يكون على الرجال منه
مؤنة بل جعل فيه القوة على الانتصاب وقت الحاجة الى ذلك لما قدر ان يكون فيه من دوام النسل وبقائه اعتبر
الآن يا مفضل بعظم النعمة على الانسان في مطعمه ومشربه وتسهيل خروج الاذى اليس من حسن التقدير في
بناء الدار ان يكون الخلاء في استر موضع منها فكذا جعل الله سبحانه المنفذ المهيا للخلاء من الانسان في استر موضع منه
ولم يجعله بارزا من خلفه ولا ناشزا من بين يديه بل هو مغيب في موضع غامض من البدن مستور محجوب يلتقي عليه الفخذان
وتحجبه الاليتان بما عليهما من اللحم فيواريانه فاذا احتاج الانسان الى الخلاء وجلس تلك الجلسة الفى ذلك المنفذ
منه منصبا مهيا لانحدار الثفل فتبارك من تظاهرت آلاؤه ولا تحصى نعماؤه فكر يا مفضل في هذه الطواحن
التي جعلت للانسان فبعضها حداد لقطع الطعام وقرضه وبعضها عراض لمضغه ورضه فلم ينقص واحد من الصنفين
اذ كان محتاجا اليهما جميعا تامل واعتبر بحسن التدبير في خلق الشعر والاظفار فانهما لما كانا مما يطول ويكثر حتى يحتاج
الى تخفيفه اولا فاولا جعلا عديمي الحس لئلا يؤلم الانسان الاخذ منهما ولو كان قص الشعر وتقليم الاظفار مما
يوجد له مس من ذلك لكان الانسان من ذلك بين مكروهين اما ان يدع كل واحد منهما حتى يطول فيثقل عليه
واما ان يخففه بوجع والم يتالم منه قال المفضل فقلت فلم لم يجعل ذلك خلقة لا تزيد فيحتاج الانسان
الى النقصان منه فقال عليه السلم ان لله تبارك وتعالى اسمه في ذلك على العبد نعماء لا يعرفها فيحمد عليها اعلم ان آلام

البدن

البدن وادواءه تخرج بخروج الشعر في مسامه وبخروج الاظفار في اناملها ولذلك امر الانسان بالنورة وحلق الراس
وقص الاظفار في كل اسبوع ليسرع الشعر والاظفار في النبات فتخرج الآلام والادواء بخروجهما واذا طالا
تحيرا وقل خروجهما فاحتبست الآلام والادواء في البدن فاحدثت عللا واوجاعا ومنع مع ذلك الشعر
من المواضع التي تضر بالانسان وتحدث عليه الفساد والضرر لو نبت الشعر في العين الم يكن سيعمي البصر ولو نبت
في الفم الم يكن سينغص على الانسان طعامه وشرابه ولو نبت في باطن الكف الم يكن سيعوقه عن صحة اللمس وبعض
الاعمال ولو نبت في فرج المراة وعلى ذكر الرجل الم يكن سيفسد عليهما لذة الجماع فانظر كيف تنكب الشعر هذه
المواضع لما في ذلك من المصلحة ثم ليس هذا في الانسان فقط بل تجده في البهائم والسباع وساير المتناسلات
فانك ترى اجسامهن مجللة بالشعر وترى هذه المواضع خالية منه لهذا السبب بعينه فتامل الخلقة كيف تتحرز وجوه الخطاء والمضرة
وتاتي بالصواب والمنفعة ان المنانية واشباههم حين اجتهدوا في عيب الخلقة والعمد عابوا الشعر النابت
على الركب والابطين ولم يعلموا ان ذلك من رطوبة تنصب الى هذه المواضع فينبت فيها الشعر كما ينبت العشب
في مستنقع المياه افلا ترى الى هذه المواضع استر واهيا لقبول تلك الفضلة من غيرها ثم ان هذه تعد
مما يحمل الانسان من مؤنة هذا البدن وتكاليفه لما له في ذلك من المصلحة فان اهتمامه بتنظيف بدنه واخذ ما يعلوه
من الشعر مما يكسر به شرته ونخوته ويشغله عن بعض ما تخرجه اليه الاشر والبطالة من اللهو والفساد تامل الريق وما فيه
من المنفعة فانه جعل يجري جريانا دائما الى الفم ليبل الحلق واللهوات ولا يجف فان هذه المواضع
لو جعلت كذلك كان فيه هلاك الانسان ثم كان لا يستطيع ان يسيغ طعاما اذا لم يكن في الفم بلة

تشهد بذلك المشاهدة واعلم ان الرطوبة ببطيئة الغزار وقد تجري من هذه العلة الى موضع آخر من المرة فيكون
في ذلك صلاح تام للانسان ولو تبيّت المرة لهلك الانسان ولقد قال قوم من جهلة المتكلمين وضعفة المتفلسفين لقلة التمييز
وقصور العلم لو كان بطن الانسان كهيئة القباء يفتحه الطبيب اذا شاء فيعاين ما فيه ويدخل يده فيعالج ما اراد علاجه
الم يكن اصلح من ان يكون مصمتا محجوبا عن البصر واليد لا يعرف ما فيه الا بدلالات غامضة مثل النظر الى البول
وحس العرق وما اشبه ذلك مما يكثر فيه الغلط والشبهة حتى ربما كان ذلك سببا للموت فلو علم هؤلاء الجهلة ان
لو كان هكذا كان اول ما فيه انه كان يسقط عن الانسان الوجل من الامراض والموت وكان يستشعر البقاء ويغتر بالسلامة
فيخرجه ذلك الى العتو والاشر ثم كانت الرطوبات التي في البطن تترشح وتتحلب فيفسد على الانسان مقعده ومرقده
وثياب بذلته وزينته بل كان يفسد عليه عيشه ثم ان المعدة والكبد والفؤاد انما تفعل افعالها بالحرارة الغريزية التي
جعلها الله محتبسة في الجوف فلو كان في البطن فرج ينفتح حتى يصل البصر الى رؤيته واليد الى علاجه لوصل برد الهواء
الى الجوف فمازج الحرارة الغريزية وبطل عمل الاحشاء فكان في ذلك هلاك الانسان افلا ترى ان كل ما تذهب اليه الاوهام
سوى ما جاءت به الخلقة خطأ وخطل فكر يا مفضل في الافعال التي جعلت في الانسان من الطعم والنوم والجماع وما دبر فيها فانه
جعل لكل واحد منها في الطباع نفسه محرك يقتضيه ويستحث به فالجوع يقتضي الطعم الذي به حياة البدن وقوامه
والكرى يقتضي النوم الذي فيه راحة البدن واجمام قواه والشبق يقتضي الجماع الذي فيه دوام النسل وبقاؤه
ولو كان الانسان انما يصير الى اكل الطعام لمعرفته بحاجة بدنه اليه ولم يجد من طباعه شيئا يضطره الى ذلك كان
خليقا ان يتوانى عنه احيانا بالتثقل والكسل حتى ينحل بدنه فيهلك كما يحتاج الواحد الى الدواء لشيء مما يصلح

ببدنه

ببدنه فيدافع به حتى يؤديه ذلك الى المرض والموت وكذلك لو كان انما يصير الى النوم بالفكر في حاجته الى راحة
البدن واجمام قواه كان عسى ان يتثاقل عن ذلك فيدفعه حتى ينهك بدنه ولو كان انما يتحرك للجماع بالرغبة في
الولد كان غير بعيد ان يفتر عنه حتى يقل النسل او ينقطع فان من الناس من لا يرغب في الولد ولا يحفل به فانظر كيف
جعل لكل واحد من هذه الافعال التي بها قوام الانسان وصلاحه محرك من نفس الطبع يحركه لذلك ويحدوه عليه
واعلم ان في الانسان قوى اربعا قوة جاذبة تقبل الغذاء وتورده على المعدة وقوة ممسكة تحبس الطعام حتى تفعل فيه الطبيعة
فعلها وقوة هاضمة وهي التي تطبخه وتستخرج صفوه وتبثه في البدن وقوة دافعة تدفعه وتحدر الثفل الفاضل بعد اخذ الهاضمة
حاجتها فكر في تقدير هذه القوى الاربع التي في البدن وافعالها وتقديرها للحاجة اليها والارب فيها وما في ذلك
من التدبير والحكمة فلولا الجاذبة كيف يتحرك الانسان لطلب الغذاء التي بها قوام البدن ولولا الممسكة كيف كان
يلبث الطعام في الجوف حتى تهضمه المعدة ولولا الهاضمة كيف كان ينطبخ حتى يخلص منه الصفو الذي يغذو
البدن ويسد خلله ولولا الدافعة كيف كان الثفل الذي تخلفه الهاضمة يندفع ويخرج اولا فاولا
افلا ترى كيف وكل الله بلطيف صنعه وحسن تقديره هذه القوى بالبدن والقيام بما فيه صلاحه وسامثل لك في ذلك مثالا ان
البدن بمنزلة دار الملك وله فيها حشم وصبية وقوام موكلون بالدار فواحد لاقضاء حوائج الحشم وايرادها عليهم وآخر
لقبض ما يرد وخزنه الى ان يعالج ويهيأ وآخر لعلاج ذلك وتهيئته وتفريقه وآخر لتنظيف ما في الدار من الاقذار
واخراجه منها فالملك في هذا هو الخلاق الحكيم ملك العالمين والدار هي البدن والحشم هي الاعضاء والقوام هي هذه
القوى الاربع ولعلك ترى ذكرنا هذه القوى الاربع وافعالها بعد الذي وصفت فضلا وتردادا

في هذه القوى على الحجة التي ذكرت لك في كتب الاطباء ولا قولنا فيه كقولهم لانهم ذكروها على ما يحتاج
اليه في صناعة الطب وتصحيح الابدان وذكرناها على ما يحتاج اليه في صلاح الدين وشفاء النفوس
من الغي كالذي اوضحته بالوصف الشافي والمثل المضروب من التدبير والحكمة فيها تأمل يا مفضل هذه القوى
التي في النفس وموقعها من الانسان اعني الفكر والوهم والعقل والحفظ وغير ذلك افرأيت لو نقص
الانسان من هذه الخلال الحفظ وحده كيف كانت تكون حاله وكم من خلل كان يدخل عليه في اموره ومعاشه
وتجاربه اذا لم يحفظ ما له وعليه وما اخذه وما اعطى وما رأى وما سمع وما قال وما قيل له ولم يذكر من احسن اليه
ممن اساء به وما نفعه مما ضره ثم كان لا يهتدي لطريق لو سلكه ما لا يحصى ولا يحفظ علما ولو درسه عمره ولا يعتقد
دينا ولا ينتفع بتجربة ولا يستطيع ان يعتبر شيئا على ما مضى بل كان حقيقا ان ينسلخ من الانسانية اصلا
فانظر الى النعمة على الانسان في هذه الخلال وكيف موقع الواحدة منها دون الجميع واعظم من النعمة على
الانسان في الحفظ النعمة في النسيان فانه لولا النسيان لما سلا احد عن مصيبته ولا انقضت له حسرة
ولا مات له حقد ولا استمتع بشيء من متاع الدنيا مع تذكر الآفات ولا رجا غفلة من سلطان ولا فترة
من حاسد افلا ترى كيف جعل في الانسان الحفظ والنسيان وهما مختلفان متضادان وجعل له في كل منهما
ضرب من المصلحة وما عسى ان يقول الذين قسموا الاشياء بين خالقين متضادين في هذه الاشياء المتضادة المتباينة
وقد تراها تجتمع على ما فيه الصلاح والمنفعة انظر يا مفضل الى ما خص به الانسان دون جميع الحيوان من هذا الخلق
الجليل قدره العظيم غناؤه اعني الحياء فلولاه لم يقر ضيف ولم يوف بالعدات ولم تقض الحوائج

ولم يتحر

ولم يتحر الجميل ولم يتنكب القبيح في شيء من الاشياء حتى ان كثيرا من الامور المفترضة ايضا انما يفعل للحياء
فان من الناس من لولا الحياء لم يرع حق والديه ولم يصل ذا رحم ولم يؤد امانة ولم يعف عن فاحشة
افلا ترى كيف وفي للانسان جميع الخلال التي فيها صلاحه وتمام امره تأمل يا مفضل ما انعم الله
تقدست اسماؤه به على الانسان من هذا النطق الذي يعبر به عما في ضميره وما يخطر بقلبه ونتيجة فكره
ليفهم عن غيره ما في نفسه ولولا ذلك كان بمنزلة البهائم المهملة التي لا تخبر عن نفسها بشيء ولا تفهم
عن مخبر شيئا وكذلك الكتابة التي بها تقيد اخبار الماضين للباقين واخبار الباقين للآتين وبها تخلد الكتب في العلوم
والآداب وغيرها وبها يحفظ الانسان ذكر ما يجري بينه وبين غيره من المعاملات والحساب ولولاه لانقطع
اخبار بعض الازمنة عن بعض واخبار الغائبين عن اوطانهم ودرست العلوم وضاعت الآداب
وعظم ما يدخل على الناس من الخلل في امورهم ومعاملاتهم وما يحتاجون الى النظر فيه من امر دينهم
وما روي لهم مما لا يسعهم جهله ولعلك تظن انها مما يخلص اليه بالحيلة والفطنة وليست مما اعطيه الانسان
من خلقه وطباعه وكذلك الكلام انما هو شيء يصطلح عليه الناس فيجري بينهم ولهذا صار يختلف
في الامم المختلفة بألسن مختلفة وكذلك الكتابة ككتابة العربي والسرياني والعبراني والرومي وغيرها
من سائر الكتابة التي هي متفرقة في الامم انما اصطلحوا عليها كما اصطلحوا على الكلام فيقال لمن ادعى ذلك
ان الانسان وان كان له في الامرين جميعا فعل او حيلة فان الشيء الذي يبلغ به ذلك الفعل والحيلة
عطية وهبة من الله عز وجل في خلقه فانه لو لم يكن له لسان مهيأ للكلام وذهن يهتدي به للامور

لم يكن ليتكلم ابدا ولو لم يكن له كف مهياة واصابع للكتابة لم يكن ليكتب ابدا واعتبر ذلك من البهائم

التي لا كلام لها ولا كتابة فاصل ذلك فطرة الباري جل وعز وما تفضل به على خلقه فمن شكر اثيب

ومن كفر فان الله غني عن العالمين فكر يا مفضل فيما اعطي الانسان علمه وما منع فانه اعطي علم

جميع ما فيه صلاح دينه ودنياه فمما فيه صلاح دينه معرفة الخالق تبارك وتعالى بالدلائل والشواهد

القائمة في الخلق ومعرفة الواجب عليه من العدل على الناس كافة وبر الوالدين واداء الامانة

ومواساة اهل الخلة واشباه ذلك مما قد توجد معرفته والاقرار والاعتراف به في الطبع والفطرة

من كل امة موافقة او مخالفة وكذلك اعطي علم ما فيه صلاح دنياه كالزراعة والغراس واستخراج

الارضين واقتناء الاغنام والانعام واستنباط المياه ومعرفة العقاقير التي يستشفى بها من ضروب الاسقام

والمعادن التي يستخرج منها انواع الجواهر وركوب السفن والغوص في البحر وضروب الحيل في صيد الوحش

والطير والحيتان والتصرف في الصناعات ووجوه المتاجر والمكاسب وغير ذلك مما يطول شرحه

ويكثر تعداده مما فيه صلاح امره في هذه الدار فاعطي علم ما يصلح به دينه ودنياه ومنع ما سوى ذلك

مما ليس في شانه ولا طاقته ان يعلم كعلم الغيب وما هو كائن وبعض ما قد كان كالعلم بما فوق

السماء وما تحت الارض وما في لجج البحار واقطار العالم وما في قلوب الناس وما في الارحام واشباه هذا

مما حجب على الناس علمه وقد ادعت طائفة من الناس هذه الامور فابطل دعواهم ما يبين من خطاهم

فيما يقضون عليه ويحكمون به فيما ادعوا علمه فانظر كيف اعطي الانسان علم جميع ما يحتاج اليه لدينه

ودنياه

ودنياه وحجب عنه ما سوى ذلك ليعرف قدره ونقصه وكلا الامرين فيهما صلاحه

تامل الآن يا مفضل ما ستر عن الانسان علمه من مدة حيوته فانه لو عرف مقدار عمره وكان

قصير العمر لم يتهنا بالعيش مع ترقب الموت وتوقعه لوقت قد عرفه بل كان بمنزلة من قد

فني ماله او قارب الفناء فقد استشعر الفقر والوجل من فناء ماله وخوف الفقر على ان الذي

يدخل على الانسان من فناء العمر اعظم مما يدخل عليه من فناء المال لان من يقل ماله يامل ان يستخلف

منه فيسكن الى ذلك ومن ايقن بفناء العمر استحكم عليه الياس وان كان طويل العمر ثم عرف ذلك

وثق بالبقاء وانهمك في اللذات والمعاصي وعمل على انه يبلغ من ذلك شهوته ثم يتوب في آخر

عمره وهذا مذهب لا يرضاه الله من عباده ولا يقبله الا ترى لو ان عبدا لك عمل على انه يسخطك سنة

ويرضيك يوما او شهرا لم تقبل ذلك منه ولم يحل عندك محل العبد الصالح دون ان

يضمر طاعتك ونصحك في كل الامور وفي كل الاوقات على تصرف الحالات فان قلت اوليس قد يقيم

الانسان على المعصية حينا ثم يتوب فتقبل توبته قلنا ان ذلك شيء يكون من الانسان لغلبة الشهوات له

وتركه مخالفتها من غير ان يقدره في نفسه ويبني عليه امره فيصفح الله عنه ويتفضل عليه بالمغفرة

فاما من قدر امره على ان يعصي ما بدا له ثم يتوب آخر ذلك فانما يحاول خديعة من لا يخادع بان يتسلف

التلذذ في العاجل ويعد ويمني نفسه التوبة في الآجل ولانه لا يفي بما يعد من ذلك فان النزوع عن الترفه

والتلذذ ومعاناة التوبة ولا سيما عند الكبر وضعف البدن امر صعب لا يؤمن على الانسان مع مدافعته بالتوبة

ان يرهقه الموت فيخرج من الدنيا غير تائب كما قد يكون على الواحد دين الى اجل وقد يقدر على
قضائه فلا يزال يدافع بذلك حتى يحل الاجل وقد نفد المال فيبقى الدين قائما عليه فكان
خير الاشياء للانسان ان يستر عنه مبلغ عمره فيكون طول عمره يترقب الموت فيترك المعاصي ويؤثر
العمل الصالح فان قلت وها هو الآن قد ستر عنه مقدار حيوته وصار يترقب الموت في كل ساعة
يقارف الفواحش وينتهك المحارم قلنا ان وجه التدبير في هذا الباب هو الذي جرى عليه الامر فيه
فان كان الانسان مع ذلك لا يرعوي ولا ينصرف عن المساوي فانما ذلك من مرحه ومن قساوة قلبه
لا من خطاء في التدبير كما ان الطبيب قد يصف للمريض ما ينتفع به فان كان المريض مخالفا لقول
الطبيب لا يعمل بما يامره ولا ينتهي عما ينهاه عنه لم ينتفع بصفته ولم تكن الاساءة في ذلك للطبيب بل للمريض
حيث لم يقبل منه ولئن كان الانسان مع ترقبه للموت كل ساعة لا يمتنع عن المعاصي فانه لو وثق
بطول البقاء كان احرى ان يخرج الى الكبائر الفظيعة فترقب الموت على كل حال خير له من الثقة
بالبقاء ثم ان ترقب الموت وان كان صنف من الناس يلهون عنه ولا يتعظون به فقد
يتعظ به صنف آخر منهم وينزعون عن المعاصي ويؤثرون العمل الصالح ويجودون بالاموال
والعقائل النفيسة في الصدقة على الفقراء والمساكين فلم يكن من العدل ان يحرم هؤلاء الانتفاع
بهذه الخصلة لتضييع اولئك حظهم منها فكر في الاحلام كيف دبر الامر فيها فمزج صادقها بكاذبها
فانها لو كانت كلها تصدق لكان الناس كلهم انبياء ولو كانت كلها تكذب لم يكن فيها منفعة

بل كانت

بل كانت فضلا لا معنى له فصارت تصدق احيانا فينتفع بها الناس في مصلحة يهتدى لها او مضرة
يتحذر عنها وتكذب كثيرا لئلا يعتمد عليها كل الاعتماد فكر في هذه الاشياء التي تراها موجودة معدة في
العالم من مآربهم فالتراب للبناء والحديد للصناعات والخشب للسفن وغيرها والحجارة للارحاء
وغيرها والنحاس للاواني والذهب والفضة للمعاملة والجواهر للذخيرة والحبوب للغذاء
والثمار للتفكه واللحم للمأكل والطيب للتلذذ والادوية للتصحيح والدواب للحمولة والحطب للتوقد
والرماد للتكليس والرمل للارض وكم عسى ان يحصي المحصي من هذا وشبهه ارايت لو ان داخلا دخل دارا
فنظر الى خزائن مملوة من كل ما يحتاج اليه الناس ورأى كل ما فيها مجموعا معدا لاسباب معروفة اكان
يتوهم ان مثل هذا يكون بالاهمال ومن غير عمد فكيف يستجيز قائل ان يقول هذا في العالم وما
اعد فيه من هذه الاشياء اعتبر يا مفضل باشياء خلقت لمآرب الانسان وما فيها من التدبير فانه خلق له
الحب لطعامه وكلف طحنه وعجنه وخبزه وخلق الوبر لكسوته وكلف ندفه وغزله ونسجه
وخلق له الشجر وكلف غرسها وسقيها والقيام عليها وخلقت له العقاقير لادويته وكلف لقطها وخلطها وصنعها
وكذلك تجد سائر الاشياء على هذا المثال فانظر كيف كفيت الخلقة التي لم يكن عنده فيها حيلة وترك عليه في كل شيء
من الاشياء موضع عمل وحركة لما له في ذلك من الصلاح لانه لو كفي هذا كله حتى لا يكون له في الاشياء
موضع شغل وعمل لما حملته الارض اشرا وبطرا ولبلغ به ذلك الى ان يتعاطى امورا فيها تلف نفسه
ولو كفي الناس كل ما يحتاجون اليه لما تهنؤوا بالعيش ولا وجدوا له لذة الا ترى لو ان امرأ

نزل بالقوم فاقام حينا لا يحتاج الى شي من مطعم او مشرب وخدم لتبرم بالفراغ ونازعته نفسه
الى التشاغل بشي فكيف لو كان طول عمره مكفيا لا يحتاج الى شي فكان من صواب التدبير في هذه الاشيا التي خلقت للانسان
ان جعل له فيها موضع شغل لكيلا تبرمه البطالة ولتكفه عن تعاطي ما لا يناله ولا خير فيه ان ناله اعلم يا مفضل
ان راس معاش الانسان وحياته الخبز والماء فانظر كيف دبر الامر فيهما فان حاجة الانسان الى الماء اشد من حاجته
الى الخبز وذلك ان صبره على الجوع اكثر من صبره على العطش والذي يحتاج اليه من الماء اكثر مما يحتاج اليه من الخبز
لانه يحتاج اليه لشربه ووضوئه وغسله وغسل ثيابه وسقي انعامه وزرعه فجعل الماء مبذولا لا يشترى لتسقط
عن الانسان المؤنة في طلبه وتكلفه وجعل الخبز متعذرا لا ينال الا بالحيلة والحركة ليكون للانسان في ذلك
شغل يكفه عما يخرجه اليه الفراغ من الاشر والعبث الا ترى ان الصبي يدفع الى المؤدب وهو طفل لم تكمل
ذاته للتعليم كل ذلك ليشتغل عن اللعب والعبث اللذين ربما جنيا عليه وعلى اهله المكروه العظيم وهكذا الانسان
لو خلا من الشغل لخرج من الاشر والعبث والبطر الى ما يعظم ضرره عليه وعلى من قرب منه واعتبر ذلك بمن نشا في
الجدة ورفاهية العيش والترفه والكفاية وما يخرجه ذلك اليه اعتبر لم لا يتشابه الناس واحد بالآخر
كما تتشابه الوحوش والطير وغير ذلك فانك ترى السرب من الظباء والقطا تتشابه حتى لا يفرق بين
واحد منها وبين الاخرى وترى الناس مختلفة صورهم وخلقهم حتى لا يكاد اثنان منهم يجتمعان في
صفة واحدة والعلة في ذلك ان الناس محتاجون الى ان يتعارفوا باعيانهم وحلاهم لما يجري
بينهم من المعاملات وليس يجري بين البهائم مثل ذلك فيحتاج الى معرفة كل واحد منها بعينه وحليته

الا ترى

الا ترى ان التشابه في الطير والوحش لا يضرها شيئا وليس كذلك الانسان فانه ربما تشابه التوامان تشابها
شديدا فتعظم المؤنة على الناس في معاملتهما حتى يعطى احدهما بالآخر ويؤخذ احدهما بذنب الآخر وقد يحدث
مثل هذا في تشابه الاشيا فضلا عن تشابه الصور فمن لطف لعباده بهذه الدقائق التي لا تكاد تخطر بالبال حتى وقف بها
على الصواب الا من وسعت رحمته كل شي لو رايت تمثال الانسان مصورا على حائط فقال لك قائل ان هذا ظهر هنا
من تلقاء نفسه لم يصنعه صانع اكنت تقبل ذلك بل كنت تستهزئ به فكيف تنكر هذا في تمثال مصور جماد ولا تنكر
في الانسان الحي الناطق لم صارت ابدان الحيوان وهي تغتذي ابدا لا تنمي بل تنتهي الى غاية من النمو ثم تقف
ولا تتجاوزها لولا التدبير في ذلك فان من تدبير الحكيم فيها ان يكون ابدان كل صنف منها على مقدار معلوم غير
متفاوت في الكبير والصغير وصارت تنمي حتى تصل الى غايتها ثم تقف ثم لا تزيد والغذاء مع ذلك دائم
لا ينقطع ولو كانت تنمي نموا دائما لعظمت ابدانها واشتبهت مقاديرها حتى لا يكون لشي منها حد يعرف لم صارت
اجسام الانسان خاصة تثقل عن الحركة والمشي وتجفو عن الصناعات اللطيفة الا لتعظيم المؤنة فيما يحتاج اليه الناس
للملبس والمضجع والتكفين وغير ذلك لو كان الانسان لا يصيبه الم ولا وجع بم كان يرتدع عن الفواحش
ويتواضع لله ويتعطف على الناس اما ترى الانسان اذا عرض له وجع خضع واستكان ورغب الى ربه
في العافية وبسط يديه بالصدقة ولو كان لا يالم من الضرب بم كان السلطان يعاقب الدعار ويذل
العصاة المردة وبم كان الصبيان يتعلمون العلوم والصناعات وبم كان العبيد يذلون لاربابهم
ويذعنون لطاعتهم افليس هذا توبيخ لابن ابي العوجاء وذويه الذين جحدوا التدبير والمانية

الذين انكروا الاهمال والعرض ولو لم يولد في الحيوان الا ذكور فقط او اناث فقط لم يكن النسل منقطعاً وباد مع ذلك
اجناس الحيوان فصار بعض الاولاد ياتي ذكوراً وبعضها ياتي اناثاً ليدوم التناسل ولا ينقطع اعتبر لم صار الرجل والمراة
اذا ادركا نبتت لهما العانة ثم نبتت اللحية للرجل وتخلفت عن المراة لولا التدبير في ذلك فانه لما جعل الله تبارك وتعالى
الرجل قيماً ورقيباً على المراة وجعل المراة عرساً وخولاً للرجل اعطى الرجل اللحية لما له من العزة والجلالة والهيبة
ومنعها المراة لتبقى لها نضارة الوجه والبهجة التي تشاكل المفاكهة والمضاجعة افلا ترى الخلقة كيف ياتي بالصواب
في الاشياء وتتخلل مواضع الخطا فتعطي وتمنع على قدر الارب والمصلحة بتدبير الحكيم عز وجل قال المفضل ثم حان
وقت الزوال فقام مولاي صلوات الله عليه الى الصلوة وقال بكر الي غداً ان شاء الله فانصرفت من عنده
مسروراً بما عرفته مبتهجاً بما اوتيته حامداً لله على ما انعم به علي شاكراً لانعمه على ما منحني بما عرفنيه مولاي وتفضل
به علي فبت في ليلتي مسروراً بما منحنيه محبوراً بما علمنيه تم المجلس الاول ويتلوه المجلس الثاني من كتاب الادلة على الخلق
والتدبير والرد على القائلين بالاهمال ومنكري العمد برواية المفضل عن الصادق عليه السلم وعلى آبائه وسلم قال المفضل
فلما كان اليوم الثاني بكرت الى مولاي فاستؤذن لي فدخلت فامرني بالجلوس فجلست فقال الحمد لله مدبر الادوار
ومعيد الاكوار طبقاً عن طبق وعالماً بعد عالم ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى عدلاً منه
تقدست اسماؤه وجلت آلاؤه لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس انفسهم يظلمون يشهد بذلك قوله عز وجل فمن
يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره في نظائر لها في كتابه الذي فيه تبيان كل شيء
ولا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ولذلك قال سيدنا محمد صلى الله عليه وآله انما هي اعمالكم ترد

اليكم

اليكم ثم اطرق هنيئة ثم قال يا مفضل الخلق حيارى عمهون سكارى في طغيانهم يترددون وبشياطينهم وطواغيتهم
يقتدون بصراء عمي لا يبصرون نطقاء بكم لا يعقلون سمعاء صم لا يسمعون رضوا بالدون وحسبوا انهم مهتدون
حادوا عن مدرجة الاكياس ورتعوا في مرعى الارجاس الانجاس كانهم من مفاجاة الموت آمنون وعن المجازاة
مزحزحون يا ويلهم ما اشقاهم واطول عناءهم واشد بلاءهم يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً ولا هم ينصرون الا من رحم الله
قال المفضل فبكيت لما سمعت منه فقال لا تبك تخلصت اذ قبلت ونجوت اذ عرفت ثم قال ابتدئ
لك بذكر الحيوان ليتضح لك من امره ما وضح لك من غيره فكر يا مفضل في ابنية ابدان الحيوان وتهيئتها
على ما هي عليه فلا هي صلاب كالحجارة ولو كانت كذلك لا تنثني ولا تتصرف في الاعمال ولا هي على غاية
اللين والرخاوة فكانت لا تتحامل ولا تستقل بانفسها فجعلت من لحم رخو ينثني تتداخله عظام صلاب
يمسكه عصب وعروق تشده وتضم بعضه الى بعض وغلفت فوق ذلك بجلد يشتمل على البدن كله ومن اشباه
ذلك هذه التماثيل التي تعمل من العيدان وتلف بالخرق وتشد بالخيوط وتطلى فوق ذلك بالصمغ فتكون
العيدان بمنزلة العظام والخرق بمنزلة اللحم والخيوط بمنزلة العصب والعروق والطلاء بمنزلة الجلد فان جاز
ان يكون الحيوان المتحرك حدث بالاهمال من غير صانع جاز ان يكون ذلك في هذه التماثيل الميتة فان كان هذا غير جائز في التماثيل فبالحري
ان لا يجوز في الحيوان وفكر بعد هذا في اجساد الانعام فانها حين خلقت على ابدان الانس
من اللحم والعظم والعصب اعطيت ايضاً السمع والبصر ليبلغ الانسان حاجته فانها لو كانت عمياً صماً
لما انتفع بها الانسان ولا تصرفت في شيء من مآربه ثم منعت الذهن والعقل لتذل للانسان

إذ الكد والكد الشديد وحمل الأحمال الثقيلة فإن قال قائل إنه قد يكون للإنسان عبيد من الإنس يذلون ويكدحون
بالكد الشديد وهم مع ذلك غير عديمي العقل والذهن فيقال في جواب ذلك إن هذا الصنف من الناس قليل فأما
أكثر الناس فهم يقومون بما يقوم به الدواب من الحمل والطحن وما أشبه ذلك ولا يغرون مما يحتاج إليه منه
ثم لو كان الناس يزاولون مثل هذه الأعمال بأبدانهم لشغلوا بذلك عن سائر الأعمال لأنه كان يحتاج مكان
الجمل الواحد والبغل الواحد إلى عدة أناسي فكان هذا العمل يستغرق الناس حتى لا يكون فيهم عنه فضل لشيء
من الصناعات مع ما يلحقهم من التعب الفادح في أبدانهم والضيق والكد في معاشهم فكر يا مفضل
في هذه الأصناف الثلاثة من الحيوان وفي خلقها على ما هي عليه مما فيه صلاح كل واحد منها فالإنس لما قدر
أن يكونوا ذوي ذهن وفطنة وعلاج لمثل هذه الصناعات من البناء والتجارة والصياغة وغير ذلك
خلقت لهم الأكف كبار ذوات أصابع غلاظ ليتمكنوا من القبض على الأشياء وأوكدها هذه الصناعات والكلات
اللحم لما قدر أن يكون معايشهم من الصيد خلقت لهم الأكف لطاف مدمجة ذوات براثن ومخالب تصلح
لأخذ الصيد ولا تصلح للصناعات والكلات النبات لما قدر أن يكونوا لا ذات صنعة ولا ذات صيد
خلقت لبعضها أظلاف تقيها خشونة الأرض إذا حاولت طلب الرعي ولبعضها حوافر ململمة ذات قعر
كأخمص القدم ينطبق على الأرض ليتهيأ للركوب والحمولة تأمل التدبير في خلق الكلات اللحم من الحيوان
حين خلقت ذوات أسنان حداد وبراثن شداد وأشداق وأفواه واسعة فإنه لما قدر أن يكون طعمها
اللحم خلقت خلقة تشاكل ذلك وأعينت بسلاح وأدوات تصلح للصيد وكذلك تجد سباع الطير ذوات

مناقير

مناقير ومخاليب كانت مهيأة لفعلها ولو كانت الوحوش ذوات مخاليب كانت قد أعطيت ما لا تحتاج إليه لأنها
لا تصيد ولا تأكل اللحم ولو كانت السباع ذوات أظلاف كانت قد منعت ما تحتاج إليه أعني السلاح
الذي به تصيد وتتعيش أفلا ترى كيف أعطي كل واحد من الصنفين ما يشاكل صنفه وطبقته بما فيه بقاؤه
وصلاحه انظر الآن إلى ذوات الأربع كيف تراها تتبع أمهاتها مستقلة بأنفسها لا تحتاج إلى الحمل
والتربية كما تحتاج أولاد الإنس فمن أجل أنه ليس عند أمهاتها ما عند أمهات البشر من الرفق والعلم بالتربية
والقوة عليها بالأكف والأصابع المهيأة لذلك أعطيت النهوض والاستقلال بأنفسها وكذلك ترى كثيرا
من الطير كمثل الدجاج والدراج والقبج تدرج وتلقط حين ينقاب عنه البيض فأما ما كان منها ضعيفا
لا نهوض فيه كمثل فراخ الحمام واليمام والحمر فقد جعل في الأمهات فضل عطف عليها فصارت تمج الطعام
في أفواهها بعد ما توعيه حواصلها فلا تزال تغذوها حتى تستقل بأنفسها ولذلك لم ترزق الحمام فراخا
كثيرة مثل ما ترزق الدجاج لتقوى الأم على تربية فراخها فلا تفسد ولا تموت فكل أعطي من تدبير
الحكيم اللطيف الخبير انظر إلى قوائم الحيوان كيف تأتي أزواجا لتتهيأ للمشي ولو كانت أفرادا لم تصلح لذلك
لأن الماشي ينقل بعض قوائمه ويعتمد على بعض فذو القائمتين ينقل واحدة ويعتمد على واحدة
وذو الأربع ينقل اثنتين ويعتمد على اثنتين وذلك من خلاف لأن ذا الأربع لو كان ينقل قائمتين
من أحد جانبيه ويعتمد على قائمتين من الجانب الآخر لما ثبت على الأرض كما لا يثبت السرير وما أشبهه
فصار ينقل اليمنى من مقاديمه مع اليسرى من مآخيره وينقل الأخريين أيضا من خلاف فيثبت على الأرض

ولا يسقط اذا مشى اما ترى الحمار كيف يذل للطحن والحمولة وهو يرى الفرس مودعا منعما والبعير لا يطيقه عدة
رجال لو استعصى كيف كان ينقاد للصبي والثور الشديد كيف كان يذعن لصاحبه حتى يضع النير على عنقه ويحرث به
والفرس الكريم يركب السيوف والاسنة بالمواتاة لفارسه والقطيع من الغنم يرعاه رجل واحد ولو تفرقت
الغنم فاخذ كل واحد منها في ناحية لم يلحقها وكذلك اصناف المسخرة للانسان فبم كانت كذلك الا بانها عدمت
العقل والروية فانها لو كانت تعقل وتروي في الامور كانت خليقة ان تلتوي على الانسان في كثير من مآربه
حتى يمتنع الجمل على قائده والثور على صاحبه وتتفرق الغنم عن راعيها واشباه هذا من الامور وكذلك هذه
السباع لو كانت ذات عقل وروية فتوازرت على الناس كانت خليقة ان تجتاحهم فمن كان يقوم للاسد
والذئاب والنمورة والدببة لو تعاونت وتظاهرت على الناس افلا ترى كيف حجر ذلك عليها وصارت
مكان ما كان يخاف من اقدامها ونكايتها تهاب مساكن الناس وتحجم عنها ثم لا تظهر ولا تنتشر لطلب قوتها
الا بالليل فهي مع صولتها كالخائف للانس بل مقموعة ممنوعة منهم ولولا ذلك لساورتهم في منازلهم وضيقت عليهم
ثم جعل في الكلب من بين هذه السباع عطف على مالكه ومحاماة عنه وحفاظ له فهو ينتقل على الحيطان والسطوح
في ظلمة الليل لحراسة منزل صاحبه وذب الذعار عنه ويبلغ من محبته لصاحبه ان يبذل نفسه للموت دونه
ودون ماشيته وماله ويالفه غاية الالف حتى يصبر معه على الجوع والجفوة فلم طبع الكلب على هذا الالف الا ليكون
حارسا للانسان له عين بانياب ومخالب ونباح هائل ليذعر منه السارق ويتجنب المواضع التي يحميها
ويحرسها فكر يا مفضل في وجه الدابة كيف هو فانك ترى العينين شاخصتين امامها لتبصر ما بين يديها

لئلا تصدم

لئلا تصدم حائطا او تتردى في حفرة وترى الفم مشقوقا في اسفل الخطم ليتمكن من العض على العلف
ولو شق كمكان الفم من الانسان في مقدم الذقن لما استطاع ان يتناول به شيئا من الارض الا ترى
ان الانسان لا يتناول الطعام بفيه ولكن بيده تكرمة له على سائر الآكلات فلما لم يكن للدابة يد تتناول
بها العلف جعل خطمها مشقوقا من اسفله ليقبض به على العلف ثم تقضمه واعينت بالجحفلة لتتناول
بها ما قرب وما بعد اعتبر بذنبها والمنفعة لها فيه فانه بمنزلة الطبق على الدبر والحيا جميعا يواريهما
ويسترهما ومن منافعها فيه ان ما بين الدبر ومراقي البطن منها وضر يجتمع عليه الذباب والبعوض
فجعل لها الذنب كالمذبة تذب بها عن ذلك المواضع ومنها ان الدابة تستريح الى تحريكه وتصريفه
يمنة ويسرة فانه لما كان قيامها على الاربع باسرها وشغلت المقدمتان بحمل البدن عن التصرف والتقلب
كان لها في تحريك الذنب راحة وفيه منافع اخرى يقصر عنها الوهم تعرف موقعها في وقت الحاجة اليها
فمن ذلك ان الدابة ترتطم في الوحل فلا يكون شيء اعون على نهوضها من الاخذ بذنبها وفي شعر الذنب
منافع للناس كثيرة يستعملونها في مآربهم ثم جعل ظهرها مسطحا مبطوحا على قوائم اربع ليتمكن من ركوبها
وجعل حياها بارزا من ورائها ليتمكن الفحل من ضربها ولو كان اسفل البطن كما كان الفرج من المراة
لم يتمكن الفحل منها الا ترى انه لا يستطيع ان ياتيها كفاحا كما ياتي الرجل المراة تامل مشفر الفيل
وما فيه من لطيف التدبير فانه يقوم مقام اليد في تناول العلف والماء وازدرادهما الى جوفه ولولا
ذلك ما استطاع ان يتناول شيئا من الارض لانه ليست له رقبة يمدها كسائر الانعام فلما عدم العنق

اعني مكان ذلك الجرطوم الطويل ليتناول به حاجته فمن ذا الذي عوضه مكان العضو الذي
عدمه ما يقوم مقامه الا الرؤوف بخلقه وكيف يكون هذا بالاهمال كما قالت الظلمة فان قال قائل فما باله
لم يخلق ذا عنق كسائر الانعام قيل له ان راس الفيل واذنيه امر عظيم وثقل ثقيل ولو كان ذلك على عنق
عظيمة لهدها واوهنها فجعل راسه ملصقا بجسمه لكيلا ينال منه ما وصفناه وخلق له مكان العنق
هذا المشفر ليتناول به غذاءه فصار مع عدمه العنق مستوفيا ما فيه بلوغ حاجته انظر الآن كيف جعل حياء
الانثى من الفيلة في اسفل بطنها فاذا هاجت للضراب ارتفع وبرز حتى يتمكن الفحل من ضرابها فاعتبر
كيف جعل حياء الانثى من الفيلة على خلاف ما عليه في غيرها من الانعام ثم جعلت فيه هذه الخلة
ليتهيأ للامر الذي فيه قوام النسل ودوامه فكر في خلق الزرافة واختلاف اعضائها وشبهها
اصناف من الحيوان فراسها راس فرس وعنقها عنق جمل واظلافها اظلاف بقرة وجلدها جلد نمر
وزعم ناس من الجهال بالله عز وجل ان نتاجها من فحول شتى قالوا وسبب ذلك ان اصنافا من حيوان البر
اذا وردت الماء تنزو على بعض السائمة وينتج مثل هذا الشخص الذي هو كالملتقط من اصناف شتى وهذا جهل
من قائله وقلة معرفته بالباري جل قدسه وليس كل صنف من الحيوان يلقح كل صنف فلا الفرس يلقح الجمل
ولا الجمل يلقح البقر وانما يكون التلقيح من بعض الحيوان فيما يشاكله ويقرب من خلقه كما يلقح الفرس الحمار فيخرج
بينهما البغل ويلقح الذئب الضبع فيخرج من بينهما السمع على انه ليس يكون في الذي يخرج من بينهما عضو
من كل واحد منهما كما في الزرافة عضو من الفرس وعضو من الجمل واظلاف من البقر بل يكون كالمتوسط بينهما

الممتزج

الممتزج منهما كالذي تراه في البغل فانك ترى راسه واذنيه وكفله وذنبه وحوافره وسطا بين هذه الاعضاء
من الفرس والحمار وشحيجه كالممتزج من صهيل الفرس ونهيق الحمار فهذا دليل على انه ليست الزرافة
من لقاح اصناف شتى من الحيوان كما زعم الجاهلون بل هي خلق عجيب من خلق الله للدلالة على قدرته التي
لا يعجزها شيء وليعلم انه خالق اصناف الحيوان كلها يجمع ما يشاء من اعضائها في ايها شاء ويفرق ما شاء منها في
ايها شاء ويزيد في الخلقة ما شاء وينقص منها ما شاء دلالة على قدرته على الاشياء وانه لا يعجزه شيء اراده جل وتعالى
واما طول عنقها والمنفعة لها في ذلك فان منشاها ومرعاها في غياطل ذوات اشجار شاهقة ذاهبة طولا — خادارعف
في الهواء فهي تحتاج الى طول العنق لتتناول بفيها اطراف تلك الاشجار فتقوت من ثمارها تامل
خلقة القرد وشبهه بالانسان في كثير من اعضائه اعني الراس والوجه والمنكبين والصدر وكذلك احشاؤه
ايضا شبيهة باحشاء الانسان وخص مع ذلك بالذهن والفطنة التي بها يفهم عن سائسه ما يومي اليه ويحكي كثيرا
مما يرى الانسان يفعله حتى انه يقرب من خلق الانسان وشمائله في التدبير في خلقته على ما هي عليه ان يكون
عبرة للانسان في نفسه فيعلم انه من طينة البهائم وسنخها اذ كان يقرب من خلقها هذا القرب وانه لولا فضيلة
فضله الله بها في الذهن والعقل والنطق كان كبعض البهائم على ان في جسم القرد فضولا اخرى يفرق بينه
وبين الانسان كالخطم والذنب المسدل والشعر المجلل للجسم كله وهذا لم يكن مانعا للقرد ان يلحق بالانسان لو اعطي
مثل ذهن الانسان وعقله ونطقه والفصل الفاصل بينه وبين الانسان هو النقص في العقل والذهن والنطق
انظر يا مفضل الى لطف الله جل اسمه بالبهائم كيف كسيت اجسامهم هذه الكسوة من الشعر والوبر والصوف

ليقيهم من البرد وكثرة الآفات وألبست الأظلاف والحوافر والأخفاف لتقيها من الحفا إذ كانت لا أيدي لها
ولا أكف ولا أصابع مهيأة للغزل والنسج فكفوا بأن جعل كسوتهم في خلقهم باقية عليهم ما بقوا لا يحتاجون إلى تجديدها
والاستبدال بها فأما الإنسان فإنه ذو حيلة وكف مهيأة للعمل فهو ينسج ويغزل ويتخذ لنفسه الكسوة ويستبدل
بها حالا بعد حال وله في ذلك صلاح من جهات من ذلك أنه يشتغل بصنعة اللباس عن العبث وما تخرجه إليه الكفاية
ومنها أنه يستريح إلى خلع كسوته إذا شاء ولبسها إذا شاء ومنها أن يتخذ لنفسه من الكسوة ضروبا لها جمال
وروعة فيتلذذ بلبسها وتبديلها وكذلك يتخذ بالرفق من الصنعة ضروبا من الخفاف والنعال يقي بها
قدميه وفي ذلك معايش لمن يعمله من الناس ومكاسب يكون فيها معايشهم ومنها أقواتهم وأقوات عيالهم فصار
الشعر والوبر والصوف تقوم للبهائم مقام الكسوة والأظلاف والحوافر والأخفاف مقام الحذاء تأمل
يا مفضل في خلقة عجيبة جعلت في البهائم فإنهم يوارون أنفسهم إذا ماتوا كما يواري الناس موتاهم وإلا
فأين جيف هذه الوحوش والسباع وغيرها لا يرى منها شيء وليست قليلة فتخفى لقلتها بل لو قال قائل إنها أكثر من الناس
لصدق فاعتبر ذلك بما تراه في الصحاري والجبال من أسراب الظباء والمها والحمير والوعول والأيائل
وأصناف السباع من الأسد والضباع والذئاب والنمور وغيرها وضروب الهوام والحشرات ودواب الأرض
وكذلك أسراب الطير من الغربان والقطا والإوز والكراكي والحمام وسباع الطير جميعا وكلها لا يرى
منها شيء إذا ماتت إلا الواحد بعد الواحد يصيده قانص أو يفترسه سبع فإذا أحسوا بالموت كمنوا في مواضع
خفية فيموتون فيها ولولا ذلك لامتلأت الصحاري منها حتى تفسد رائحة الهواء وتحدث الأمراض والوباء

فانظر

فانظر إلى هذا الذي يخلص إليه الناس وعملوه بالتمثيل الأول الذي مثل لهم كيف جعل طبعا وادكارا
في البهائم وغيرها ليسلم الناس من معرة ما يحدث عليهم من الأمراض والفساد فكر يا مفضل في الفطن التي
جعلت في البهائم لمصلحتها بالطبع والخلقة لطفا من الله عز وجل لهم لئلا يخلو من نعمه جل وعز أحد من خلقه لا بعقل
ولا روية فإن الأيل يأكل الحيات فيعطش عطشا شديدا فيمتنع من شرب الماء خوفا من أن يدب السم
في جسمه فيقتله ويقف على الغدير وهو مجهود عطشا فيعج عجيجا عاليا ولا يشرب منه ولو شرب لمات
من ساعته فانظر إلى ما جعل من طباع هذه البهيمة من تحمل الظمإ الغالب خوفا من المضرة في الشرب و
ذلك مما لا يكاد الإنسان العاقل المميز يضبطه من نفسه والثعلب إذا أعوزه الطعم تماوت ونفخ بطنه
حتى يحسبه الطير ميتا فإذا وقعت عليه لتنهشه وثب عليها فأخذها فمن أعان الثعلب العديم النطق
والروية بهذه الحيلة إلا من وكل بتوجيه الرزق له من هذا وشبهه فإنه لما كان الثعلب يضعف عن كثير
مما يقوى عليه السباع من مساورة الصيد أعين بالدهاء والفطنة والاحتيال لمعاشه والدلفين
يلتمس صيد الطير فيكون حيلته في ذلك أن يأخذ السمك فيقتله ويسرحه حتى يطفو على الماء ثم يكمن تحته
ويثور الماء الذي عليه حتى لا يتبين شخصه فإذا وقع الطير على السمك الطافي وثب إليها فاصطادها
فانظر إلى هذه الحيلة كيف جعلت طبعا في هذه البهيمة لبعض المصلحة قال المفضل فقلت أخبرني يا مولاي
عن التنين والسحاب فقال عليه السلام إن السحاب كالموكل به يختطفه حيثما ثقفه كما يختطف
حجر المغناطيس الحديد فهو لا يطلع رأسه في الأرض خوفا من السحاب ولا يخرج إلا في القيظ مرة

اذا صحت السماء فلم يكن فيها نكتة من غيمة قط فلم وكل السحاب بالتنين يرصده ويختطفه اذا وجده قال الصادق ع رفع

عن الناس مضرته قال المفضل فقلت قد وصفت لي يا مولاي من امر البهائم ما فيه معتبر لمن اعتبر فصف لي الذرة

والنمل والطير فقال عليه السلم يا مفضل تأمل وجه الذرة الحقيرة الصغيرة هل تجد فيها نقصا عما فيه صلاحها

فمن اين هذا التقدير والصواب في خلق الذرة الا من التدبير القائم في صغير الخلق وكبيره انظر الى النمل واحتشاده

في جمع القوت واعداده فانك ترى الجماعة منها اذا نقلت الحب الى زبيتها بمنزلة جماعة من الناس ينقلون

الطعام او غيره بل للنمل في ذلك من الجد والتشمير ما ليس للناس مثله اما تراهم يتعاونون على النقل كما

يتعاون الناس على العمل ثم يعمدون الى الحب فيقطعونه قطعا لكيلا ينبت فيفسد عليهم فان اصابه ندى

اخرجوه فنشروه حتى يجف ثم لا يتخذ النمل الزبية الا في نشز من الارض كيلا يفيض السيل فيغرقها وكل هذا منه

بلا عقل ولا روية بل خلقة خلق عليها لمصلحة من الله عز وجل انظر الى هذا الذي يقال له الليث وتسميه العامة

اسد الذباب وما اعطي من الحيلة والرفق في معاشه فانك تراه حين يحس بالذباب قد وقع قريبا منه تركه مليا

حتى كأنه موات لا حراك به فاذا رأى الذباب قد اطمأن وغفل عنه دب دبيبا رقيقا حتى يكون منه بحيث

يناله وثبة ثم يثب عليه فيأخذه فاذا اخذه اشتمل عليه بجسمه كله مخافة ان ينجو منه فلا يزال قابضا عليه

حتى يحس بانه قد ضعف واسترخى ثم يقبل عليه فيفترسه ويحيى بذلك منه فاما العنكبوت فانه ينسج ذلك

النسج فيتخذه شركا ومصيدة للذباب ثم يكمن في جوفه فاذا نشب فيه الذباب احال عليه يلدغه

ساعة بعد ساعة فيعيش بذلك منه فذلك يحكي صيد الكلاب والفهود وهذا يحكي صيد الاشراك

والحبائل

والحبائل فانظر الى هذه الدويبة الضعيفة كيف جعل في طبعها ما لا يبلغه الانسان الا بالحيلة واستعمال

الالات فيها فلا تزدر بالشيء اذا كانت العبرة فيه واضحة كالذرة والنملة وما اشبه ذلك فان المعنى

النفيس قد يمثل بالشيء الحقير فلا يضع منه كما لا يضع من الدينار وهو من ذهب ان يوزن بمثقال من حديد

تأمل يا مفضل جسم الطائر وخلقته فانه حين قدر ان يكون طائرا في الجو خفف جسمه وادمج

خلقه فاقتصر به من القوائم الاربع على اثنتين ومن الاصابع الخمس على اربع ومن منفذين للزبل والبول

على واحد يجمعهما ثم خلق ذا جؤجؤ محدد ليسهل عليه ان يخرق الهواء كيف ما اخذ فيه كما جعلت السفينة

بهذه الهيئة لتشق الماء وتنفذ فيه وجعل في جناحيه وذنبه ريشات طوال متان لينهض بها للطيران

وكسي كله الريش ليداخله الهواء فيقله ولما قدر ان يكون طعامه الحب واللحم يبلعه بلعا بلا مضغ

نقص من خلقه الاسنان وخلق له منقار صلب جاس يتناول به طعامه فلا ينسحج من لقط الحب ولا يتقصف

من نهش اللحم ولما عدم الاسنان وصار يزدرد الحب صحيحا واللحم غريضا اعين بفضل حرارة في الجوف تطحن

له الطعام طحنا يستغني به عن المضغ واعتبر ذلك بان عجم العنب وغيره يخرج من اجواف الانس صحيحا

ويطحن في اجواف الطير لا يرى له اثر ثم جعل مما يبيض بيضا ولا يلد ولادة لكيلا يثقل عن الطيران

فانه لو كانت الفراخ في جوفه تمكث حتى تستحكم لاثقلته وعاقته عن النهوض والطيران فجعل كل شيء

من خلقه مشاكلا للامر الذي قدر ان يكون عليه ثم صار الطائر السائح في هذا الجو يقعد على بيضه

فيحضنه اسبوعا وبعضها اسبوعين وبعضها ثلاثة اسابيع حتى يخرج الفرخ من البيضة ثم يقبل عليه

فيزق الفرخ لتتسع حوصلته للغذاء ثم يربيه ويغذيه بما يعيش به فمن كلفه ان يلقط الطعم ويستخرجه
بعد ان يستقر في حوصلته ويغذو به فراخه ولاي معنى يحتمل هذه المشقة وليس بذي روية ولا تفكر ولا يأمل
في فراخه ما يؤمل الانسان في ولده من العز والرفد وبقاء الذكر وهذا هو فعل يشهد بانه معطوف على
فراخه لعلة لا يعرفها ولا يفكر فيها وهي دوام النسل وبقاؤه لطفا من الله تعالى ذكره انظر الى الدجاجة كيف تهيج
لحضن البيض والتفريخ وليس لها بيض مجتمع ولا وكر موطى بل تنبعث وتنتفخ وتقوقي وتمتنع من الطعام
حتى يجتمع لها البيض فتحضنه وتفرخ فلم كان ذلك منها الا لاقامة النسل ومن اخذها باقامة النسل ولا
روية ولا تفكر لولا انها مجبولة على ذلك اعتبر بخلق البيض وما فيها من المخ الاصفر الخاثر والماء
الابيض الرقيق فبعضه لينتشر منه الفرخ وبعضه ليغتذي به الى ان تنقاب عنه البيضة وما في ذلك من التدبير
فانه لو كان نشو الفرخ في تلك القشرة المستحصفة التي لا مساغ لشي اليها لجعل معه في جوفها من الغذاء
ما يكتفي به الى وقت خروجه منها كمن يحبس في حبس حصين لا يوصل الى من فيه فيجعل معه القوت ما يكتفي به الى
وقت خروجه منه فكر في حوصلة الطائر وما قدر له فان مسلك الطعام الى القانصة ضيق لا ينفذ
فيه الطعم الا قليلا قليلا فلو كان الطائر لا يلتقط حبة ثانية حتى تصل الاولى الى القانصة لطال عليه
ومتى كان يستوفي طعامه فانما يختلسه اختلاسا لشدة الحذر فجعلت الحوصلة كالمخلاة المعلقة امامه ليوعي
فيها ما ادرك من الطعام بسرعة ثم تنفذه الى القانصة على مهل وفي الحوصلة ايضا خصلة اخرى فان
من الطائر ما يحتاج الى ان يزق فراخه فيكون رده للطعام من قرب اسهل عليه قال المفضل فقلت ان

ليوعي صح

من المعطلة يزعمون ان اختلاف الالوان والاشكال في الطير انما يكون من قبل امتزاج الاخلاط
واختلاف مقاديرها بالمرج والاهمال فقال عليه السلام يا مفضل هذا الوشي الذي تراه في الطواويس
والدراج والتدارج على استواء ومقابلة كنحو ما يخط بالاقلام كيف يأتي به الامتزاج المهمل على شكل
واحد لا يختلف لو كان بالاهمال لعدم الاستواء ولو كان لكان مختلفا تأمل ريش الطير كيف هو
فانك تراه منسوجا كنسج الثوب من سلوك دقاق قد الف بعضه الى بعض كتأليف الخيط الى الخيط والشعرة
الى الشعرة ثم ترى ذلك النسج اذا مددته ينفتح قليلا ولا ينشق لتداخله الريح فيقل الطائر اذا طار
وترى في وسط الريشة عمودا غليظا متينا قد نسج عليه الذي هو مثل الشعر ليمسكه بصلابته وهو القصبة
التي في وسط الريشة وهو مع ذلك اجوف ليخف على الطائر ولا يعوقه عن الطيران هل رأيت يا مفضل
هذا الطائر الطويل الساقين وعرفت ما فيه المنفعة في طول ساقيه فانه اكثر ذلك في ضحضاح من الماء
فتراه بساقين طويلين كانه ربيئة فوق مرقب وهو يتأمل ما يدب في الماء فاذا راى شيئا مما
يتقوت به خطا خطوات رقيقا حتى يتناوله ولو كان قصير الساقين كان يخطو نحو الصيد ليأخذه
فيصيب بطنه الماء فيثور ويذعر منه فيتفرق عنه فخلق له ذلك العمودان ليدرك بهما حاجته ولا يفسد عليه
مطلبه تأمل ضروب من التدبير في خلق الطائر فانك تجد كل طائر طويل الساقين طويل العنق
وذلك ليتمكن من تناول طعامه من الارض ولو كان طويل الساقين قصير العنق لما استطاع ان يتناول
شيئا من الارض وربما اعين مع طول العنق بطول المناقير ليزداد الامر عليه سهولة له وامكانا افلا ترى

ديده بان

الا لست ترى شيئا من خلقه الا وجدت فيه غاية الصواب والحكمة انظر الآن الى العصفور كيف يطلب اكله
بالنهار فهو لا يفقده ولا هو يجده مجموعا معدا بل يناله بالحركة والطلب وكذلك الخلق كله فسبحان من قدر
الرزق كيف فرقه فلم يجعل مما لا يقدر عليه اذ جعل بالخلق حاجة اليه ولم يجعله مبذولا ينال بالهوينا اذ كان
لا صلاح في ذلك فانه لو كان يوجد مجموعا معدا كانت البهائم تتقلب عليه ولا تنقلع عنه حتى تبشم
فتهلك وكان الناس ايضا يصيرون بالفراغ الى غاية الاشر والبطر حتى يكثر الفساد وتظهر الفواحش
اعلمت ما طعام هذه الاصناف من الطير التي لا تخرج الا بالليل كمثل البوم والهام والخفاش قلت لا
يا مولاي قال ان معاشها من ضروب تنتشر في هذا الجو من البعوض والفراش واشباه الجراد واليعاسيب وذلك
ان هذه الضروب مبثوثة في الجو لا يخلو منها موضع واعتبر ذلك بانك اذا وضعت سراجا بالليل
في سطح او عرصة دار اجتمع عليه من هذا شيء كثير فمن اين يأتي ذلك كله الا من القرب فان قال قائل انه يأتي
من الصحاري والبراري قيل له كيف يوافي تلك الساعة من موضع بعيد وكيف يبصر من ذلك البعيد سراجا في دار
محفوفة بالدور فيقصد اليه مع ان هذه عيانا تتهافت على السراج من قرب فيدل ذلك على انها منتشرة
في كل موضع من الجو فهذه الاصناف من الطير تلتمسها اذا خرجت فتتقوت بها فانظر كيف وجه الرزق
لهذه الطيور التي لا تخرج الا بالليل من هذه الضروب المنتشرة في الجو واعرف مع ذلك المعنى في خلق
هذه الضروب التي عسى ان يظن ظان انها فضل لا معنى له خلق الخفاش خلقة عجيبة بين خلقة الطير
وذوات الاربع بل هو الى ذوات الاربع اقرب وذلك انه ذو اذنين ناشزتين واسنان ووبر

وهو يلد

وهو يلد ولادا ويرضع ويبول ويمشي اذا مشى على اربع وكل هذا خلاف صفة الطير ثم هو ايضا مما
يخرج بالليل ويتقوت بما يسري في الجو من الفراش وما اشبهه وقد قال القائلون انه لا طعام للخفاش
وان غذاءه من النسيم وحده وذلك يفسد ويبطل من جهتين احدهما خروج ما يخرج منه من الثفل والبول
فان هذا لا يكون من غير طعام والاخرى انه ذو اسنان ولو كان لا يطعم شيئا لم يكن للاسنان فيه معنى وليس في الخلقة
شيء لا معنى له واما المآرب فيه فمعروفة حتى ان زبله يدخل في بعض الاعمال ومن اعظم الارب فيه خلقته العجيبة
الدالة على قدرة الخالق جل ثناؤه وتصرفها فيما شاء كيف شاء لضرب من المصلحة فاما الطائر الصغير الذي
يقال له ابن تمرة فقد عشش في بعض الاوقات في بعض الشجر فنظر الى حية عظيمة قد اقبلت نحو عشه فاغرة
فاه لتبتلعه فبينا هو يتقلب ويضطرب في طلب حيلة منها اذ وجد حسكة فحملها فالقاها في فم الحية فلم تزل الحية تلتوي
وتتقلب حتى ماتت افرأيت لو لم اخبرك بذلك كان يخطر ببالك او ببال غيرك انه يكون من حسكة
مثل هذه المنفعة العظيمة او يكون من طائر صغير او كبير مثل هذه الحيلة اعتبر بهذا الكثير من الاشياء تكون
فيها منافع لا تعرف الا بحادث يحدث به او خبر يسمع به انظر الى النحل واحتشاده
في صنعة العسل وتهيئة البيوت المسدسة وما ترى في ذلك من دقائق الفطنة فانك اذا تأملت العمل
رأيته عجيبا لطيفا واذا رأيت المعمول وجدته عظيما شريفا موقعه من الناس واذا رجعت الى الفاعل
الفيته غبيا جاهلا بنفسه فضلا عما سوى ذلك ففي هذا اوضح الدلالة على ان الصواب والحكمة في هذه
الصنعة ليس للنحل بل هي للذي طبعه عليها وسخره فيها لمصلحة الناس انظر الى هذا الجراد وما اضعفه

وما اقواه فانك اذا تاملت خلقه رايته كاضعف الاشياء وان دلفت عساكره نحو بلد من البلدان
لم يستطع احد ان يحميه منه الا ترى ان ملكا من ملوك الارض لو جمع خيله ورجله ليحمي بلاده من الجراد
لم يقدر على ذلك افليس من الدلائل على قدرة الخالق ان يبعث اضعف خلقه الى اقوى خلقه فلا يستطيع
دفعه انظر اليه كيف ينساب على وجه الارض مثل السيل فيغشى السهل والجبل والبدو والحضر حتى يستر نور الشمس
بكثرته فلو كان هذا مما يصنع بالايدي متى كان يجتمع منه هذه الكثرة وفي كم من سنة كان يرتفع فاستدل
بذلك على القدرة التي لا يؤودها شيء ولا يكثر عليها تامل خلق السمك ومشاكلته للامر الذي قدر ان
يكون عليه فانه خلق غير ذي قوائم لانه لا يحتاج الى المشي اذ كان مسكنه الماء وخلق غير ذي رية لانه
لا يستطيع ان يتنفس وهو منغمس في اللجة وجعلت له مكان القوائم اجنحة شداد يضرب بها في جانبيه
كما يضرب الملاح بالمجاذيف من جانبي السفينة وكسي جسمه قشورا متانا متداخلة كتداخل الدروع والجواشن
لتقيه من الافات فاعين بفضل حس في الشم لان بصره ضعيف والماء يحجبه فصار يشم الطعام من البعد البعيد فينتجعه
والا فكيف يعلم به وبموضعه واعلم ان من فيه الى صماخيه منافذ فهو يعب الماء بفيه ويرسله من صماخيه
فيتروح الى ذلك كما يتروح غيره من الحيوان الى تنسم هذا النسيم فكر الان في كثرة نسله وما خص به من
ذلك فانك ترى في جوف السمكة الواحدة من البيض ما لا يحصى كثرة والعلة في ذلك ان يتسع لما
يغتذي به من اصناف الحيوان فان اكثرها ياكل السمك حتى ان السباع ايضا في حافات الاجام
عاكفة على الماء ايضا كي ترصد السمك والطير ياكل السمك والناس ياكلون السمك والسمك ياكل السمك

كان

كان من التدبير فيه ان يكون على ما هو عليه من الكثرة فاذا اردت ان تعرف سعة حكمة الخالق وقصر علم
المخلوقين فانظر الى ما في البحار من ضروب السمك ودواب الماء والاصداف التي لا تحصى ولا تعرف منافعها
الا الشيء بعد الشيء يدركه الناس باسباب تحدث مثل القرمز فانه انما عرف الناس صبغه بان كلبة
تجول على شاطئ البحر فوجدت شيئا من الصنف المسمى الحلزون فاكلته فاختضب خطمها بدمه فنظر الناس
الى حسنه فاتخذوه صبغا واشباه هذا مما يقف الناس عليه حالا بعد حال وزمانا بعد زمان قال
المفضل وحان وقت الزوال فقام مولاي الى الصلاة وقال بكر الي غدا فانصرفت وقد
تضاعف سروري بما عرفنيه مبتهجا بما منحنيه حامدا لله على ما اتانيه فبت ليلتي مسرورا مبتهجا قال
المفضل فلما كان اليوم الثالث بكرت الى مولاي فاستؤذن لي فدخلت فاذن لي بالجلوس مجلس ثالث
فجلست فقال الحمد لله الذي اصطفانا ولم يصطف علينا اصطفانا بعلمه وايدنا بحلمه من شذ عنا فالنار
ماواه ومن تفيا بظل دوحتنا فالجنة مثواه وقد شرحت لك يا مفضل خلق الانسان وما دبر به
وتنقله في احواله وما فيه من الاعتبار وشرحت لك امر الحيوان وانا ابتدئ الان بذكر السماء
والشمس والقمر والنجوم والفلك والليل والنهار والحر والبرد والرياح والجواهر الاربعة الماء والارض والهواء
والنار والمطر والصخر والجبال والطين والحجارة والمعادن والنبات والنخل والشجر وما في ذلك من
الادلة والعبر فكر في لون السماء وما فيه من صواب التدبير فان هذا اللون اشد الالوان موافقة
للبصر وتقوية حتى ان من صفات الاطباء لمن اصابه شيء اضر ببصره ادمان النظر الى الخضرة وما قرب منها

الا السواد وقد وصف الحذاق منهم لمن كلّ بصره الاطلاع في اجانة خضراء مملوة ماء فانظر
كيف جعل الله جل وتعالى اديم السماء بهذا اللون الاخضر الى السواد ليمسك الابصار المنقلبة عليه فلا ينكأ
فيها بطول مباشرتها له فصار هذا الذي ادركه الناس بالفكر والروية والتجارب يوجد مفروغا منه في الخلقة
حكمة بالغة ليعتبر بها المعتبرون ويلحد فيها الملحدون قاتلهم الله انى يؤفكون فكر يا مفضل في طلوع الشمس وغروبها
لاقامة دولتي الليل والنهار فلولا طلوعها لبطل امر العالم كله فلم يكن الناس يسعون في معايشهم ويتصرفون في
امورهم والدنيا مظلمة عليهم ولم يكونوا يتهنئون بالعيش مع فقدهم لذة النور وروحه والارب في طلوعها
ظاهر مستغن بظهوره عن الاطناب في ذكره والزيادة في شرحه بل تأمل المنفعة في غروبها فلولا غروبها
لم يكن للناس هدوء ولا قرار مع عظم حاجتهم الى الهدوء والراحة لسكون ابدانهم وجموم حواسهم وانبعاث
القوة الهاضمة لهضم الطعام وتنفيذ الغذاء الى الاعضاء ثم كان الحرص يستحملهم من مداومة العمل ومطاولته
على ما يعظم نكايته في ابدانهم فان كثيرا من الناس لولا جثوم هذا الليل لظلمته عليهم لم يكن لهم هدوء ولا قرار حرصا
على الكسب والجمع والادخار ثم كانت الارض تستحمي بدوام الشمس بضيائها ويحمى كل ما عليها من حيوان ونبات
فقدرها الله تعالى بحكمته وتدبيره تطلع وقتا وتغرب وقتا بمنزلة سراج يرفع لاهل البيت تارة ليقضوا
حوائجهم ثم يغيب عنهم مثل ذلك ليهدؤوا ويقروا فصار النور والظلمة مع تضادهما منقادين متظاهرين
على ما فيه صلاح العالم وقوامه ثم فكر بعد هذا في ارتفاع الشمس وانحطاطها لاقامة هذه الازمنة
الاربعة من السنة وما في ذلك من التدبير والمصلحة ففي الشتاء تعود الحرارة في الشجر والنبات فيتولد فيهما

مواد

مواد الثمار ويستكثف الهواء فينشأ منه السحاب والمطر وتشتد ابدان الحيوان وتقوى وفي الربيع يتحرك
ويظهر المواد المتولدة في الشتاء فيطلع النبات وينور الاشجار ويهيج الحيوان للسفاد وفي الصيف يحتدم
الهواء فتنضج الثمار وتتحلل فضول الابدان ويجف وجه الارض فتهيأ للبناء والاعمال وفي
الخريف يصفو الهواء ويرتفع الامراض وتصح الابدان ويمتد الليل فيمكن فيه بعض الاعمال لطوله
ويطيب الهواء فيه الى مصالح اخرى ولو تقصيت لذكرها لطال فيها الكلام فكر الان في تنقل الشمس
في البروج الاثني عشر لاقامة دور السنة وما في ذلك من التدبير فهو الدور الذي يصح به الازمنة الاربعة
من السنة الشتاء والربيع والصيف والخريف ويستوفيها على التمام وفي هذا المقدار من دوران الشمس تدرك
الغلات والثمار وتنتهي الى غاياتها ثم تعود فيستأنف النشوء والنمو الا ترى ان السنة مقدار مسير الشمس
من الحمل الى الحمل فبالسنة واخواتها يكال الزمان من لدن خلق الله تعالى العالم الى كل وقت وعصر من غابر
الايام وبها يحسب الناس الاعمار والاوقات الموقتة للديون والاجارات والمعاملات وغير ذلك
من امورهم وبمسير الشمس تكمل السنة ويقوم حساب الزمان على الصحة انظر الى شروقها على العالم
كيف دبر ان يكون فانها لو كانت تبزغ في موضع من السماء فتقف لا تعدوه لما وصل شعاعها
ومنفعتها الى كثير من الجهات لان الجبال والجدران كانت تحجبها فجعلت تطلع في اول النهار من المشرق
فتشرق على ما قابلها من وجه المغرب ثم لا تزال تدور وتغشى جهة بعد جهة حتى تنتهي الى المغرب فتشرق
على ما استتر عنها في اول النهار فلا يبقى موضع من المواضع الا اخذ بقسطه من المنفعة منها والارب التي

قدرت له ولو تخلف مقدار عام او بعض عام كيف كان يكون حالهم بل كيف يكون لكان يكون لهم مع ذلك
بقاء افلا ترى كيف كفى الناس هذه الامور الجليلة التي لم يكن عندهم فيها حيلة فصارت تجري على مجاريها
لا تعتل ولا تتخلف عن مواقيتها لصلاح العالم وما فيه بقاؤه استدل بالقمر ففيه دلالة جليلة تستعملها العامة
في معرفة الشهور ولا يقوم عليه حساب السنة لان دوره لا يستوفي الازمنة الاربعة ونشو الثمار وتصرمها
ولذلك صارت شهور القمر وسنوه تتخلف عن شهور الشمس وسنيها وصار الشهر من شهور القمر ينتقل فيكون
مرة بالشتاء ومرة بالصيف فكر في انارته في ظلمة الليل والارب في ذلك فانه مع الحاجة
الى الظلمة لهدء الحيوان وبرد الهواء على النبات لم يكن صلاح في ان يكون الليل ظلمة داجية لا ضياء فيها
فلا يمكن فيه شيء من العمل لانه ربما احتاج الناس الى العمل بالليل لضيق الوقت عليهم في بعض الاعمال في النهار
او لشدة الحر وافراطه فيعمل في ضوء القمر اعمالا شتى كحرث الارض وضرب اللبن وقطع الخشب وما اشبه ذلك
فجعل ضوء القمر معونة للناس على معايشهم اذا احتاجوا الى ذلك وانسا للسائرين وجعل طلوعه في بعض الليل
دون بعض ونقص مع ذلك من نور الشمس وضيائها لكيلا تنبسط الناس في العمل انبساطهم بالنهار ويمتنعوا
من الهدو والقرار فيهلكهم ذلك وفي تصرف القمر خاصة في مهله ومحاقه وزيادته ونقصانه وكسوفه
من التنبيه على قدرة الله تعالى خالقه المصرف له هذا التصريف لصلاح العالم ما يعتبر به المعتبرون فكر
يا مفضل في النجوم واختلاف مسيرها فبعضها لا يفارق مراكزها من الفلك ولا يسير الا مجتمعة وبعضها
مطلقة تنتقل في البروج وتفترق في مسيرها فكل واحد منها يسير سيرين مختلفين احدهما عام مع الفلك

نحو المغرب

نحو المغرب والاخر خاص لنفسه نحو المشرق كالنملة التي تدور على الرحى فالرحى تدور ذات اليمين
والنملة تدور ذات الشمال والنملة في ذلك تتحرك حركتين مختلفتين احدهما بنفسها فتتوجه امامها
والاخرى مستكرهة مع الرحى تجذبها الى خلفها فاسئل الزاعمين ان النجوم صارت على ما هي عليه بالاهمال
من غير عمد ولا صانع لها ما منعها ان تكون كلها راتبة او تكون كلها منتقلة فان الاهمال معنى واحد
فكيف صار ياتي بحركتين مختلفتين على وزن وتقدير ففي هذا بيان ان مسير الفريقين على ما يسيران
عليه بعمد وتدبير وحكمة وتقدير وليس باهمال كما تزعم المعطلة فان قال قائل ولم صار بعض النجوم
راتبا وبعضها منتقلا قلنا انها لو كانت كلها راتبة لبطلت الدلالات التي يستدل بها من تنقل المنتقلة
ومسيرها في كل برج من البروج كما يستدل على اشياء مما يحدث في العالم بتنقل الشمس والنجوم في منازلها
ولو كانت كلها منتقلة لم يكن لمسيرها منازل تعرف ولا رسم يوقف عليه لانه انما يوقف بمسير المنتقلة
منها بتنقلها في البروج الراتبة كما يستدل على سير السائر على الارض بالمنازل التي يجتاز عليها ولو كان
تنقلها بحال واحدة لاختلط نظامها وبطلت المارب فيها ولساغ لقائل ان يقول ان كينونتها
على حال واحدة توجب عليها الاهمال من الجهة التي وصفنا ففي اختلاف سيرها وتصرفها وما في ذلك
من المارب والمصلحة ابين دليل على العمد والتدبير فيها فكر في هذه النجوم التي تظهر في بعض السنة وتحتجب
في بعضها كمثل الثريا والجوزاء والشعريين وسهيل فانها لو كانت باسرها تظهر في وقت واحد لم تكن
لواحد فيها على حياله دلالات يعرفها الناس ويهتدون بها لبعض امورهم كمعرفتهم الان بما يكون من طلوع

الثور والجوزاء اذا طلعت واحتجابها اذا احتجبت فصار ظهور كل واحد واحتجابه في وقت آخر
لينتفع الناس بما يدل عليه كل واحد منها على حدته وكما جعلت الثريا واشباهها تظهر حينا وتحتجب
حينا لضرب من المصلحة كذلك جعلت بنات النعش ظاهرة لا تغيب لضرب آخر من المصلحة فانها بمنزلة
الاعلام التي يهتدي بها الناس في البر والبحر للطرق المجهولة وذلك انها لا تغيب ولا تتوارى فهم ينظرون
اليها متى ارادوا ان يهتدوا بها الى حيث شاؤوا وصار الامران جميعا على اختلافهما موجهين نحو
الارب والمصلحة وفيهما مآرب اخرى علامات ودلالات على اوقات كثيرة من الاعمال كالزراعة
والغراس والسفر في البر والبحر واشياء مما يحدث في الازمنة من الامطار والرياح والحر والبرد وبها يهتدي
السائرون في ظلمة الليل لقطع القفار الموحشة واللجج الهائلة مع ما في ترددها في كبد السماء مقبلة
ومدبرة ومشرقة ومغربة من العبر فانها تسير اسرع السير واحثه ارايت لو كانت الشمس والقمر والنجوم
بالقرب منا حتى يتبين لنا سرعة سيرها بكنه ما هي عليه الم تكن ستخطف الابصار بوهجها وشعاعها كالذي
يحدث احيانا من البروق اذا توالت واضطرمت في الجو وكذلك ايضا لو ان اناسا كانوا في قبة مكللة بمصابيح
تدور حولهم دورانا حثيثا لحارت ابصارهم حتى يخروا لوجوههم فانظر كيف قدر ان يكون
مسيرها في البعد البعيد لكيلا تضر بالابصار وتنكأ فيها وباسرع السرعة لكيلا تتخلف عن مقدار الحاجة
في مسيرها وجعل فيها جزءا يسيرا من الضوء ليسد مسد الاضواء اذا لم يكن قمر ويمكن فيه الحركة اذا حدثت
ضرورة كما قد يحدث الحادث على المرء فيحتاج الى التجافي في جوف الليل فان لم يكن شيء

من الضوء

من الضوء يهتدي به لم يستطع ان يبرح مكانه فتأمل اللطف والحكمة في هذا التقدير حين جعل للظلمة دولة
ومدة لحاجة اليها وجعل خلالها شيء من الضوء للمآرب التي وصفنا فكر في هذا الفلك بشمسه وقمره ونجومه
وبروجه تدور على العالم هذا الدوران الدائم بهذا التقدير والوزن لما في اختلاف الليل والنهار وهذه
الازمان الاربعة المتوالية على الارض وما عليها من اصناف الحيوان والنبات من ضروب المصلحة كالذي
بينت وشخصت لك آنفا وهل يخفى على ذي لب ان هذا تقدير مقدر وصواب وحكمة من مقدر حكيم
فان قال قائل ان هذا شيء اتفق ان يكون هكذا فما منعه ان يقول مثل هذا في دولاب تراه يدور
ويسقي حديقة فيها شجر ونبات وترى كل شيء من آلته مقدرا بعضه يلقى بعضا على ما فيه صلاح تلك الحديقة وما فيها
وبم كان يثبت هذا القول لو قاله وما ترى الناس كانوا قائلين له لو سمعوه منه فينكر ان يقول في دولاب خشب
مصنوع بحيلة قصيرة لمصلحة قطعة من الارض انه كان بلا صانع ومقدر ويقدر ان يقول في هذا الدولاب
الاعظم المخلوق بحكمة تقصر عنها اذهان البشر لصلاح جميع الارض وما عليها انه شيء اتفق ان يكون بلا صنعة
ولا تقدير ولو اعتل هذا الفلك كما تعتل الآلات التي تتخذ للصناعات وغيرها اي شيء كان عند الناس
من الحيلة في اصلاحه فكر يا مفضل في مقادير النهار والليل كيف وقعت على ما فيه صلاح هذا الخلق فصار
منتهى كل واحد منهما اذا امتد الى خمس عشرة ساعة لا يتجاوز ذلك افرايت لو كان النهار يكون
مقداره مائة ساعة او مائتي ساعة الم يكن في ذلك بوار كل ما في الارض من حيوان ونبات اما الحيوان
فكان لا يهدأ ولا يقر طول هذه المدة ولا البهائم كانت تمسك عن الرعي لو دام لها ضوء النهار

ولا الانسان كان لغير عن العمل والحركة وما كان ذلك يهلكها اجمع ويوديها الى التلف والنبات
لكان يطول عليه حر النهار ووهج الشمس حتى يجف ويحترق وكذلك الليل لو امتد مقدار هذه المدة
كان يعوق اصناف الحيوان عن الحركة والتصرف في طلب المعاش حتى تموت جوعا وتخمد الحرارة الطبيعية من النبات
حتى يعفن ويفسد كالذي تراه يحدث على النبات اذا كان في موضع لا تطلع عليه الشمس عبر ثم بعد الحر والبرد
كيف يتعاوران العالم ويتصرفان هذا التصرف في الزيادة والنقصان والاعتدال لاقامة هذه الازمنة الاربعة
من السنة وما فيها من المصالح ثم هما بعد دباغ الابدان التي عليها بقاؤها وفيها صلاحها فانه لولا الحر والبرد
وتداولهما الابدان لفسدت واخوت وانتكثت فكر في دخول احدهما على الآخر بهذا التدريج والترسل
فانك ترى احدهما ينقص شيئا بعد شيء والآخر يزيد مثل ذلك حتى ينتهي كل واحد منهما منتهاه في الزيادة
والنقصان ولو كان دخول احدهما على الاخرى مفاجاة لاضر ذلك بالابدان واسقمها كما ان احدكم
لو خرج من حمام حار الى موضع البرودة لضره ذلك واسقم بدنه فلم يجعل الله هذا الترسل في الحر والبرد الا للسلامة
من ضرر المفاجاة لولا التدبير في ذلك فان زعم زاعم ان هذا الترسل في دخول الحر والبرد انما يكون لابطاء
مسير الشمس في الارتفاع والانحطاط سئل عن العلة في ابطاء مسير الشمس في ارتفاعها وانحطاطها فان اعتل بالابطاء
ببعد ما بين المشرقين سئل عن العلة في ذلك فلا تزال هذه المسئلة ترقى معه الى حيث رقي من هذا القول
حتى استقر على العمد والتدبير لولا الحر لما كانت الثمار الجاسية المرة تنضج وتلين وتعذب حتى يتفكه بها رطبة
ويابسة ولولا البرد لما كان الزرع يفرخ هكذا ويريع الريع الكثير الذي يتسع للقوت وما يرد في الارض

للبذر

للبذر افلا ترى ما في الحر والبرد من عظيم الغناء والمنفعة وكلاهما مع غنائه والمنفعة فيه يولم الابدان
ويمضها وفي ذلك عبرة لمن فكر ودلالة على انه من تدبير الحكيم في مصلحة العالم وما فيه وانبهك معتبر
على الريح وما فيها الست ترى ركودها اذا ركدت كيف تحدث الكرب الذي يكاد ان يأتي على النفوس ويمرض
الاصحاء وينهك المرضى ويفسد الثمار ويعفن البقول ويعقب الوباء في الابدان والآفة في الغلات
ففي هذا بيان ان هبوب الرياح من تدبير الحكيم في صلاح الخلق وانبئك عن الهواء بخلة اخرى فان الصوت
اثر يؤثره اصطكاك الاجسام في الهواء يؤديه الى المسامع والناس يتكلمون في حوائجهم ومعاملاتهم طول نهارهم
وبعض ليلهم فلو كان اثر هذا الكلام يبقى في الهواء كما يبقى الكتاب في القرطاس لامتلأ العالم منه وكان يكربهم
ويفدحهم فكانوا يحتاجون في تجديده والاستبدال به اكثر مما يحتاج اليه في تجديد القرطاس لان ما يلقى
من الكلام اكثر مما يكتب فجعل الخلاق الحكيم جل قدسه هذا الهواء قرطاسا خفيا يحمل الكلام ريثما يبلغ العالم حاجتهم
ثم يمحى فيعود جديدا نقيا ويحمل ما حمل ابدا بلا انقطاع وحسبك بهذا النسيم المسمى هواء عبرة وما فيه من المصالح
فانه حياة هذه الابدان والممسك لها من داخل بما تستنشق منه ومن خارج بما تباشر من روحه وفيه تطرد
هذه الاصوات فيؤدي بها من البعد البعيد وهو الحامل لهذه الارائح ينقلها من موضع الى موضع الا ترى كيف
تاتيك الرائحة من حيث تهب الريح فكذلك الصوت وهو القابل لهذا الحر والبرد اللذين يتعاقبان
على العالم لصلاحه ومنه هذه الريح الهابة فالريح تروح عن الاجسام وتزجي السحاب من موضع الى موضع
ليعم نفعه حتى يستكثف فيمطر وتفضه حتى يستخف فيتفشى وتلقح الشجر وتسير السفن وترخي الاطعمة

الماء وتثير السحاب وتخفف الاشياء الندية وبالجملة انها تحيي كل ما في الارض فلولا الريح لذوى النبات ومات
الحيوان وحمت الاشياء وفسدت فكر يا مفضل فيما خلق الله عز وجل عليه هذه الجواهر الاربعة ليتسع ما يحتاج
اليه منها فمن ذلك سعة هذه الارض وامتدادها فلولا ذلك كيف كانت تتسع لمساكن الناس ومزارعهم
ومراعيهم ومنابت اخشابهم واحطابهم والعقاقير العظيمة والمعادن الجسيمة غناؤها ولعل من ينكر هذه الفلوات
الخاوية والقفار الموحشة فيقول ما المنفعة فيها فهي مأوى هذه الوحوش ومحالها ومرعاها ثم فيها بعد
متنفس ومضطرب للناس اذا احتاجوا الى الاستبدال باوطانهم فكم بيداء وكم فدفد حالت قصورا وجنانا
بانتقال الناس اليها وحلولهم فيها ولولا سعة الارض وفسحتها لكان الناس كمن هو في حصار ضيق لا يجد
مندوحة عن وطنه اذا حزبه امر يضطره الى الانتقال عنه ثم فكر في خلق هذه الارض على ما هي عليه حين
خلقت راتبة ساكنة فيكون موطنا مستقرا للاشياء فيتمكن الناس من السعي عليها في مآربهم والجلوس عليها لراحتهم
والنوم لهدوئهم والاتقان لاعمالهم فانها لو كانت رجراجة منكفئة لم يكونوا يستطيعون ان يتقنوا
البناء والتجارة والصناعة وما اشبه ذلك بل كانوا لا يتهنؤون بالعيش والارض ترتج من تحتهم واعتبر
ذلك بما يصيب الناس في حال الزلازل على قلة مكثها حتى يصيروا الى ترك منازلهم والهرب عنها فان
قال قائل فلم صارت هذه الارض تزلزل قيل له ان الزلزلة وما اشبهها موعظة وترهيب يرهب بها
الناس ليرعووا وينزعوا عن المعاصي وكذلك ما ينزل بهم من البلاء في ابدانهم واموالهم يجري في التدبير ليرعوا
على ما فيه صلاحهم واستقامتهم ويدخر لهم ان صلحوا من الثواب والعوض في الآخرة ما لا يعدله شيء من امور

الدنيا

الدنيا وربما عجل ذلك في الدنيا اذا كان ذلك صلاحا للعامة والخاصة ثم ان الارض في طباعها
الذي طبعها الله عليه باردة يابسة وكذلك الحجارة وانما الفرق بينها وبين الحجارة فضل يبس في
الحجارة افرأيت لو ان اليبس افرط على الارض قليلا حتى تكون حجرا صلدا اكانت تنبت هذا النبات
الذي به حياة الحيوان وكان يمكن بها حرث او بناء افلا ترى كيف نقصت من يبس الحجارة وجعلت
على ما هي عليه من اللين والرخاوة لتتهيأ للاعتمار ومن تدبير الحكيم جل وعلا في خلقة الارض ان مهب الشمال
ارفع من مهب الجنوب فلم يجعل الله عز وجل كذلك الا لينحدر الماء على وجه الارض فيسقيها و
يرويها ثم يفيض آخر ذلك الى البحر فكما يرفع احد جانبي السطح ويخفض الآخر لينحدر الماء عنه ولا يقوم
عليه كذلك جعل مهب الشمال ارفع من مهب الجنوب لهذه العلة بعينها ولولا ذلك لبقي الماء متحيرا
على وجه الارض وكان يمنع الناس من اعمالها ويقطع الطرق والمسالك ثم الماء لولا كثرته
وتدفقه في العيون والاودية والانهار لضاق عما يحتاج الناس اليه لشربهم وشرب انعامهم
ومواشيهم وسقي زروعهم واشجارهم واصناف غلاتهم وشرب ما يرده من الوحوش والطيور
والسباع وتتقلب فيه الحيتان ودواب الماء وفيه منافع اخرى انت بها عارف وعن عظم موقعها
غافل فانه سوى الامر الجليل المعروف من غنائه في احياء جميع ما على الارض من الحيوان والنبات
يمزج بالاشربة فتلين وتطيب لشاربها وبه تنظف الابدان والامتعة من الدرن الذي يغشاها
وبه يبل التراب فيصلح للاعتمال وبه يكف عادية النار اذا اضطرمت واشرف الناس على

المكروه وبه يسيغ الغصان غصته وبه يستحم الكال المتعب فيجد الراحة من اوصابه

لا اشباه هذا من المآرب التي تعرف عظم موقعها في وقت الحاجة اليها فان شككت في منفعة هذا الماء

الكثير المتراكم في البحار وقلت ما الارب فيه فاعلم انه مكتنف ومضطرب ما لا يحصى من اصناف السمك ودواب

البحر ومعدن اللؤلؤ والياقوت والعنبر واصناف شتى تستخرج من البحر وفي سواحله منابت العود اليلنجوج

وضروب من الطيب والعقاقير ثم هو بعد مركب الناس ومحمل لهذه التجارات التي تجلب من البلدان البعيدة

كمثل ما يجلب من الصين الى العراق ومن العراق الى العراق فان هذه التجارات لو لم يكن لها محمل الا على الظهر

لبارت وبقيت في بلدانها وايدي اهلها لان اجر حملها كان يجاوز اثمانها فلا يتعرض احد لحملها

وكان يجتمع في ذلك امران احدهما فقد اشياء كثيرة تعظم الحاجة اليها والآخر انقطاع معاش من يحملها ويتعيش

بفضلها وهكذا الهواء لولا كثرته وسعته لاختنق هذا الانام من الدخان والبخار التي يتحير فيه ويعجز

عما يحول الى السحاب والضباب اولا فاولا وقد تقدم من صفته ما فيه كفاية والنار ايضا كذلك فانها

لو كانت مبثوثة كالنسيم والماء كانت تحرق العالم وما فيه ولم يكن بد من ظهورها في الاحايين لغنائها

في كثير من المصالح فجعلت كالمخزونة في الاجسام تلتمس عند الحاجة اليها وتمسك بالمادة والحطب فتعظم المؤونة

في ذلك ولا هي تظهر مبثوثة فتحرق كل ما هي فيه بل هي على تهيئة وتقدير اجتمع فيها الاستمتاع بمنافعها والسلامة

من ضررها ثم فيها خلة اخرى وهي انها مما خص به الانسان دون جميع الحيوان لما له فيها من المصلحة فانه

لو فقد النار لعظم ما يدخل عليه من الضرر في معاشه فاما البهائم فلا تستعمل النار ولا تستمتع بها ولما قدر

عز وجل

عز وجل ان يكون هذا كذا خلق للانسان كفا واصابع مهياة لقدح النار واستعمالها ولم يعط البهائم

مثل ذلك لكنها اعينت بالصبر على الجفاء والخلل في المعاش لكيلا ينالها في فقد النار ما ينال الانسان

وانبئك من منافع النار على خلقة صغيرة عظيم موقعها وهي هذا المصباح الذي يتخذه الناس فيقضون

به حوائجهم ما شاءوا من ليلهم ولولا هذه الخلة لكان الناس تصرف اعمارهم بمنزلة من في القبور فمن كان

يستطيع ان يكتب او يحفظ او ينسج في ظلمة الليل وكيف كانت حال من عرض له وجع في وقت من اوقات

الليل فاحتاج ان يعالج ضمادا او سفوفا او شيئا يستشفي به فاما منافعها في نضج الاطعمة ودفاء الابدان

وتجفيف اشياء وتحليل اشياء واشباه ذلك فاكثر من ان تحصى واظهر من ان تخفى فكر يا مفضل في الصحو والمطر

كيف يتعقبان على هذا العالم لما فيه صلاحه ولو دام واحد منهما عليه كان في ذلك فساده الا ترى ان

الامطار اذا توالت عفنت البقول والخضر واسترخت ابدان الحيوان وخصر الهواء فاحدث

ضروبا من الامراض وفسدت الطرق والمسالك وان الصحو اذا دام جفت الارض واحترق النبات

وغيض ماء العيون والاودية فاضر ذلك بالناس وغلب اليبس على الهواء فاحدث ضروبا اخرى

من الامراض فاذا تعاقبا على العالم هذا التعاقب اعتدل الهواء ودفع كل واحد منهما عادية الآخر فصلحت

الاشياء واستقامت فان قال قائل ولم لا يكون في شيء من ذلك مضرة البتة قيل له ليمض ذلك الانسان

ويؤلمه بعض الالم فيرعوي عن المعاصي فكما ان الانسان اذا سقم بدنه احتاج الى الادوية المرة البشعة ليقوم

طباعه ويصلح ما فسد منه كذلك اذا طغى واشر احتاج الى ما يعضه ويؤلمه ليرعوي ويقصر عن مساويه

على ما فيه حظه ورشده ولو ان ملكا من الملوك قسم في اهل مملكته قناطير من ذهب وفضة الم يكن سيعظم
عندهم ويذهب له به الصوت فاين هذا من مطرة يعمر به البلاد ويزيد في الغلات اكثر من قناطير
الذهب والفضة في اقاليم كلها افلا ترى المطرة الواحدة ما اكبر قدرها واعظم على الناس فيها وهم عنها ساهون
وربما عاقت عن احدهم حاجة لا قدر لها فيذمر ويسخط ايثارا للخسيس قدره على العظيم نفعه جهلا بمحمود العاقبة وقلة معرفته
العظيم الغناء والمنفعة فيها تامل نزوله على الارض والتدبير في ذلك فانه جعل ينحدر عليها من علو
ليتفشى ما غلظ وارتفع منها فيرويه ولو كان انما ياتيها من بعض نواحيها لما علا على المواضع المشرفة منها ويقل
ما يزرع في الارض الا ترى ان الذي يزرع سيحا اقل من ذلك فالامطار هي التي تطبق الارض وربما تزرع
هذه البراري الواسعة وسفوح الجبال وذراها فتغل الغلة الكثيرة وبها يسقط عن الناس في كثير من البلدان مؤونة
سياق الماء من موضع الى موضع وما يجري في ذلك بينهم من التشاجر والتظالم حتى يستأثر بالماء ذو العز
والقوة ويحرمه ثم انه حين قدر ان ينحدر على الارض انحدارا جعل ذلك قطرا شبيها بالرش ليغور في قعر الارض
فيرويها ولو كان يسكبه انسكابا كان ينزل على وجه الارض ولا يغور فيها ثم كان يحطم الزرع القائمة اذا
اندفق عليها فصار ينزل نزولا رقيقا فينبت الحب المزروع ويحيي الارض والزرع القائم وفي نزوله ايضا
مصالح اخرى فانه يلين الابدان ويجلو كدر الهواء فيرتفع الوباء الحادث من ذلك ويغسل ما يسقط على الشجر
والزرع من الداء المسمى باليرقان الى اشباه هذا من المنافع فان قال قائل اوليس قد يكون منه في بعض السنين
الضرر العظيم الكثير لشدة ما يقع منه او برد يكون فيه تحطم الغلات وبخورة يحدثها في الهواء فيولد

كثيرا

كثيرا من الامراض في الابدان والآفات في الغلات قيل بلى قد يكون ذلك الفرط لما فيه من صلاح الانسان
وكفه عن ركوب المعاصي والتمادي فيها فيكون المنفعة فيما يصلح له من دينه ارجح مما عسى ان يرزأ في ماله
انظر يا مفضل الى هذه الجبال المركومة من الطين والحجارة التي يحسبها الغافلون فضلا لا حاجة اليها
والمنافع فيها كثيرة فمن ذلك ان تسقط عليها الثلوج فتبقى في قلالها لمن يحتاج اليه ويذوب ما ذاب منه
فتجري منه العيون الغزيرة التي تجتمع منها الانهار العظام وتنبت فيها ضروب من النبات والعقاقير
التي لا تنبت مثلها في السهل ويكون فيها كهوف ومعاقل للوحوش من السباع العادية ويتخذ منها الحصون
والقلاع المنيعة للتحرز من الاعداء وتنحت منها الحجارة للبناء والارحاء ويوجد فيها معادن لضروب
من الجواهر وفيها خلال اخرى لا يعرفها الا المقدر لها في سابق علمه فكر يا مفضل في هذه المعادن وما يخرج
منها من الجواهر المختلفة مثل الجص والكلس والجبسين والزرانيخ والمرتك والتوتيا والزئبق والنحاس
والرصاص والفضة والذهب والزبرجد والياقوت والزمرد وضروب الحجارة وكذلك ما يخرج
منها من القار والموميا والكبريت والنفط وغير ذلك مما يستعمله الناس في مآربهم فهل يخفى على ذي عقل
ان هذه كلها ذخائر ذخرت للانسان في هذه الارض ليستخرجها فيستعملها عند الحاجة اليها ثم قصرت حيلة
الناس عما حاولوا من صنعتها على حرصهم واجتهادهم في ذلك فانهم لو ظفروا بما حاولوا من هذا العلم كان لا محالة
سيظهر ويستفيض في العالم حتى تكثر الفضة والذهب ويسقطا عند الناس فلا يكون لهما قيمة ويبطل الانتفاع
بهما في الشرى والبيع والمعاملات ولا كان يجبي السلطان الاموال ولا يدخرهما احد للاعقاب

وقد اعطي الناس مع هذه صنعة الشبه من النحاس والزجاج من الرمل والفضة مما لا مضرة فيه فانظر كيف اعطوا ارادتهم
فيما لا ضرر فيه ومنعوا ذلك فيما كان ضارا لهم لو نالوه ومن اوغل في المعادن انتهى الى واد عظيم يجري
منصلتا بماء غزير لا يدرك غوره ولا حيلة في عبوره ومن ورائه امثال الجبال من الفضة تفكر
الان في هذا من تدبير الخالق الحكيم فانه اراد جل ثناؤه ان يري العباد قدرته وسعة خزائنه ليعلموا انه
لو شاء ان يمنحهم كالجبال من الفضة لفعل لكن لا صلاح لهم في ذلك لانه لو كان فيكون فيها كما ذكرنا سقوط
هذا الجوهر عند الناس وقلة انتفاعهم به واعتبر ذلك بانه قد يظهر الشي الطريف مما يحدثه الناس من الاواني
والامتعة فما دام عزيزا قليلا فهو نفيس جليل اخذ الثمن فاذا فشا وكثر في ايدي الناس سقط عندهم وخست قيمته
ونفاسة الاشياء من عزتها فكر يا مفضل في هذا النبات وما فيه من ضروب المآرب فالثمار للغذاء والاتبان
للعلف والحطب للوقود والخشب لكل شي من انواع التجارة وغيرها واللحاء والورق والاصول والعروق والصموغ
لضروب من المنافع ارايت لو كنا نجد الثمار التي نغتذي بها مجموعة على وجه الارض ولم تكن تنبت على هذه الاغصان
الحاملة لها كم كان يدخل علينا من الخلل في معاشنا وان كان الغذاء موجودا فان المنافع بالخشب والحطب والاتبان
وسائر ما عددناه كثيرة عظيمة قدرها جليل موقعها هذا مع ما في النبات من التلذذ بحسن منظره ونضارته
التي لا يعدلها شي من مناظر العالم وملاهيه فكر يا مفضل في هذا الريع الذي جعل في الزرع فصارت الحبة الواحدة
تخلف مائة حبة واكثر واقل وكان يجوز ان يكون الحبة تاتي بمثلها فلم صارت تريع هذا الريع الا ليكون في الغلة متسع
لما يرد في الارض من البذر وما يتقوت الزراع الى ادراك زرعها المستقبل الا ترى ان الملك لو اراد

عماره

عمارة بلد من البلدان كان السبيل في ذلك ان يعطي اهله ما يبذرونه في ارضهم وما يقوتهم الى ادراك زرعهم
فانظر كيف تجد هذا المثال قد تقدم في تدبير الحكيم فصار الزرع يريع هذا الريع ليفي بما يحتاج اليه للقوت والزراعة وكذلك
الشجر والنبت والنخل يريع الريع الكثير فانك ترى الاصل الواحد حوله من فراخه امر عظيم فلم كان كذلك الا ليكون
فيه ما يقطعه الناس ويستعملونه في مآربهم وما يرد فيغرس في الارض ولو كان الاصل منه يبقى منفردا لا يفرخ ولا يريع
لما امكن ان يقطع منه شي لعمل ولا لغرس ثم كان ان اصابته آفة انقطع اصله فلم يكن منه خلف تامل نبات هذه
الحبوب من العدس والماش والباقلى وما اشبه ذلك فانها تخرج في اوعية مثل الخرائط لتصونها وتحجبها من الآفات
ان تشتد وتستحكم كما قد يكون المشيمة على الجنين لهذا المعنى بعينه فاما البر وما اشبهه فانه يخرج مدرجا في قشور صلاب
على رؤوسها امثال الاسنة من السنبل ليمنع الطير منه ليتوفر على الزراع فان قال قائل او ليس قد ينال الطير من البر والحبوب
قيل له بلى على هذا قدر الامر فيها لان الطير خلق من خلق الله وقد جعل الله تبارك وتعالى فيما تخرج الارض حظا ولكن حصنت
الحبوب بهذه الحجب لئلا يتمكن الطير منها كل التمكن فيعبث فيها ويفسد الفساد الفاحش فان الطير لو صادف الحب بارزا ليس عليه
شي يحول دونه لاكب عليه حتى ينسفه اصلا فكان يعرض من ذلك ان يبشم الطير فيموت ويخرج الزارع من زرعه صفرا
فجعلت عليه هذه الوقايات لتصونه فينال الطير منه شيئا يتقوت به ويبقى اكثره للانسان فانه اولى به اذ كان
هو الذي كدح فيه وشقي به وكان الذي يحتاج اليه اكثر مما يحتاج اليه الطير تامل الحكمة في خلق الشجر واصناف النبات
فانها لما كانت تحتاج الى الغذاء الدائم كحاجة الحيوان ولم يكن لها افواه كافواه الحيوان ولا حركة تنبعث بها لتتناول
الغذاء جعلت اصولها مركوزة في الارض لتنتزع منها الغذاء فتؤديه الى الاغصان وما عليها من الورق والثمر

فصارت الارض كالام المربية لها وصارت اصولها التي هي كالافواه ملتقمة للارض لتنزع منها الغذاء كما
يرضع اصناف الحيوان امهاتها الم تر الى عمد الفساطيط والخيم كيف تمد بالاطناب من كل جانب لتثبت منتصبة
فلا تسقط ولا تميل فهكذا تجد النبات كله له عروق منتشرة في الارض ممتدة الى كل جانب لتمسكه وتقيمه
ولولا ذلك كيف كان يثبت هذا النخل الطوال والدوح العظام في الريح العاصف فانظر الى حكمة الخلقة كيف سبقت حكمة
الصناعة فصارت الحيلة التي يستعملها الصناع في ثبات الفساطيط والخيم متقدمة في خلق الشجر لان خلق الشجر قبل
صنعة الفساطيط والخيم الا ترى الى عمدها وعيدانها من الشجر والصناعة ماخوذة من الخلقة تامل يا مفضل خلق الورق
فانك ترى في الورقة شبه العروق مبثوثة فيها اجمع فمنها غلاظ ممتدة في طولها وعرضها ومنها دقاق تتخلل تلك الغلاظ
منسوجة نسجا دقيقا معجما لو كان مما يصنع بالايدي كصنعة البشر لما فرغ من ورق شجرة واحدة في عام كامل ولاحتيج
الى آلات وحركة وعلاج وكلام فصار ياتي منه في ايام قلائل من الربيع ما يملا الجبال والسهل وبقاع الارض كلها بلا حركة
ولا كلام الا بالارادة النافذة في كل شي والامر المطاع واعرف مع ذلك العلة في تلك العروق فانها جعلت تتخلل الورقة
باسرها لتسقيها وتوصل الماء اليها بمنزلة العروق المبثوثة في البدن لتوصل الغذاء الى كل جزء منه وفي الغلاظ منها
معنى آخر فانها تمسك الورقة بصلابتها ومتانتها لئلا تنهتك وتتمزق فترى الورقة شبيهة بورقة معمولة بالصنعة من خرق
قد جعلت فيها عيدان ممدودة في طولها وعرضها لتتماسك فلا تضطرب فالصناعة تحكي الخلقة وان كانت لا تدركها
على حقيقتها فكر في هذا العجم والنوى والعلة فيه فانه جعل في جوف الثمرة ليقوم مقام الغرس ان عاق دون الغرس عائق
كما يحرز الشي النفيس الذي تعظم الحاجة اليه في مواضع اخر فان حدث على الذي في بعض المواضع منه حادث وجد

في موضع آخر

في موضع آخر ثم هو بعد يمسك بصلابته رخاوة الثمار ورقتها ولولا ذلك لتشدخت وتفسخت واسرع اليها الفساد
وبعضه يؤكل ويستخرج دهنه فيستعمل منه ضروب من المصالح وقد تبين لك موضع الارب في العجم والنوى فكر
الآن في هذا الذي تجده فوق النواة من الرطبة وفوق العجم من العنبة فما العلة فيه ولماذا يخرج في هذه الهيئة
وقد كان يمكن ان يكون مكان ذلك ما ليس فيه ماكل كمثل ما يكون من السرو والدلب وما اشبه ذلك فلم صار يخرج
فوق هذه المطاعم اللذيذة الا ليستمتع بها الانسان فكر في ضروب من التدبير في الشجر فانك تراه يموت
في كل سنة موتة فتحتبس الحرارة الغريزية في عوده ويتولد فيه مواد الثمار ثم يحيى وينتشر فياتيك بهذه الفواكه
نوعا بعد نوع كما تقدم اليك انواع الاطعمة التي تعالج بالايدي واحدا بعد واحد فترى الاغصان في الشجر تتلقاك
بثمارها حتى كانها تناولكها عن يد وترى الرياحين تتلقاك في افنانها كانها تجيئك بانفسها فلمن هذا التقدير الا
لمقدر حكيم وما العلة فيه الا تفكه الانسان بهذه الثمار والانوار والعجب من اناس جعلوا مكان الشكر على النعمة جحود المنعم بها
اعتبر بخلق الرمانة وما ترى فيها من اثر العمد والتدبير فانك ترى فيها كامثال التلال من شحم مركوم في نواحيها
وحبا مرصوفا رصفا كنحو ما ينضد بالايدي وترى الحب مقسوما اقساما وكل قسم منها ملفوفا بلفائف من حجب منسوجة
اعجب النسج والطفه وقشرة يضم ذلك كله فمن التدبير في هذه الصنعة انه لم يكن يجوز ان يكون حشو الرمانة من الحب وحده
وذلك ان الحب لا يمد بعضه بعضا فجعل ذلك الشحم خلال الحب ليمده بالغذاء الا ترى ان اصول الحب مركوزة في ذلك
الشحم ثم لف بتلك اللفائف لتضمه وتمسكه فلا يضطرب وغشي فوق ذلك بالقشرة المستحصفة لتصونه
وتحصنه من الآفات فهذا قليل من كثير من وصف الرمانة وفيه اكثر من هذا لمن اراد الاطناب والتذرع في الكلام

ولكن فيما ذكرت لك كفاية في الدلالة والاعتبار فكر يا مفضل في حمل اليقطين الضعيف مثل هذه الثمار الثقيلة من الدبا
والقثاء والبطيخ وفي ذلك من التدبير والحكمة فانه حين قدر ان يحمل مثل هذه الثمار جعل نباته منبسطا على الارض
ولو كان ينتصب قائما كما ينتصب الزرع والشجر لما استطاع ان يحمل مثل هذه الثمار الثقيلة ولتقصف قبل ادراكها وانتهائها
الى غاياتها فانظر كيف صار يمتد على وجه الارض ليلقي عليها ثماره فتحملها عنه فترى الاصل من القرع والبطيخ مفترشا
للارض وثماره مبثوثة عليها وحواليه كانه هرة ممتدة وقد اكتنفتها اجراؤها لترضع منها وانظر كيف صارت الاصناف توافي
في الوقت المشاكل لها من حمارة الصيف ووقدة الحر فتلقاها النفوس بانشراح وتشوق اليها ولو كانت توافي في الشتاء
لوافقت من الناس كراهة لها واقشعرارا مع ما يكون فيها من المضرة للابدان الا ترى انه ربما ادرك شيء من الخيار
في الشتاء فيمتنع الناس من اكله الا الشره الذي لا يمتنع من اكل ما يضره ويستوخم معدته فكر يا مفضل في النخل فانه
لما صار فيه اناث يحتاج الى التلقيح جعلت فيه ذكورة للقاح من غير غراس فصار الذكر من النخل بمنزلة الذكر من
الحيوان الذي يلقح الاناث لتحمل وهو لا يحمل تامل خلقة الجذع كيف هو فانك تراه كالمنسوج نسجا من غير خيوط
ممدودة كالسدى واخرى معه معترضة كاللحمة كنحو ما ينسج بالايدي وذلك ليشتد ويصلب ولا يتقصف من حمل القنوان
الثقيلة وهز الرياح العواصف اذا صار نخلة وليتهيا للسقوف والجسور وغير ذلك مما يتخذ منه اذا صار جذعا وكذلك
ترى الخشبة مثل النسج فانك ترى بعضه مداخلا بعضا طولا وعرضا كتداخل اجزاء اللحم وفيه مع ذلك متانة
ليصلح لما يتخذ منه من الآلات فانه لو كان مستحصفا كالحجارة لم يمكن ان يستعمل في السقوف وغير ذلك مما يستعمل فيه
الخشبة كالابواب والاسرة والتوابيت وما اشبه ذلك ومن جسيم المصالح في الخشب انه يطفو على الماء وكل الناس

يعرفه

يعرف هذا منه وليس كلهم يعرف جلالة الامر فيه فلولا هذه الحالة كيف كانت هذه السفن والاطواف تحمل
امثال الجبال من الحمولة وانى كان ينال الناس هذا الرفق وخفة المؤنة في حمل التجارات من بلد الى بلد وكانت
تعظم المؤنة عليهم حتى يلقى كثير مما يحتاج اليه في بعض البلدان مفقودا اصلا او عسر وجوده فكر في هذه العقاقير
وما خص بها كل واحد منها من العمل في بعض الادواء فهذا يغور في المفاصل فيستخرج الفضول الغليظة مثل الشيطرج
وهذا ينزف المرة السوداء مثل الافتيمون وهذا ينفي الرياح مثل السكبينج وهذا يحلل الاورام واشباه
هذا من افعالها فمن جعل هذه القوى فيها الا من خلقها للمنفعة ومن فطن الناس لها الا من جعل هذا فيها ومتى كان يوقف على
هذا منها بالعرض والاتفاق كما قال قائلون وهب الانسان فطن لهذه الاشياء بذهنه ولطيف رويته وتجاربه
فالبهائم كيف فطنت لها حتى صار بعض السباع يتداوى من جراحة ان اصابته ببعض العقاقير فيبرا وبعض الطير
يحتقن من الحصر يصيبه بماء البحر فيسلم واشباه هذا كثير ولعلك تشكك في هذا النبات النابت في الصحاري والبراري
حيث لا انس ولا انيس فتظن انه فضل لا حاجة اليه وليس كذلك بل هو طعم لهذه الوحوش وحبه علف للطير وعوده
وافنانه حطب فيستعمله الناس وفيه بعد اشياء تعالج به الابدان واخرى يدبغ به الجلود واخرى تصبغ به الامتعة
واشباه هذا من المصالح الست تعلم ان من اخس النبات واحقره هذا البردي وما اشبهها ففيها مع هذا من ضروب
المنافع فقد يتخذ من البردي القراطيس التي يحتاج اليها الملوك والسوقة والحصر التي يستعملها كل صنف من الناس وليعمل منه
الغلف التي توقى بها الاواني ويجعل حشوا بين الظروف في الاسفاط لكيلا تعيب وتنكسر واشباه هذا من المنافع
فاعتبر بما ترى من ضروب المآرب في صغير الخلق وكبيره وبما له قيمة وما لا قيمة له واخس من هذا واحقره الزبل

والعذرة التي اجتمعت فيها الخساسة والنجاسة معاً موقعها من الزرع والبقول والخضر اجمع الموقع الذي لا يعدله شيء
حتى ان كل شيء من الخضر لا يصلح ولا يزكو الا بالزبل والسماد الذي يستقذره الناس ويكرهون الدنو منه واعلم انه
ليس منزلة الشيء على حسب قيمته بل هما قيمتان مختلفتان بسوقين وربما كان الخسيس في سوق المكتسب نفيساً في سوق العلم
فلا تستصغر العبرة في الشيء لصغر قيمته فلو فطن طالبو الكيمياء لما في العذرة لاشتروها بانفس الاثمان وغالوا بها
قال المفضل وحان وقت الزوال فقام مولاي الى الصلاة وقال بكر الي غداً ان شاء الله تعالى فانصرفت وقد
تضاعف سروري بما عرفنيه مبتهجاً بما آتانيه حامداً لله على ما منحنيه فبت ليلتي مسروراً

المجلس الرابع

قال المفضل فلما كان اليوم الرابع بكرت الى مولاي فاستؤذن لي فامرني بالجلوس فجلست فقال عليه السلام منا التحميد
والتسبيح والتعظيم والتقديس للاسم الاقدم والنور الاعظم العلي العلام ذي الجلال والاكرام ومنشئ الانام ومفني العوالم
والدهور وصاحب السر المستور والغيب المحظور والاسم المخزون والعلم المكنون وصلواته وبركاته على مبلغ وحيه
ومؤدي رسالته الذي بعثه بشيراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي
عن بينة فعليه وعلى آله من بارئه الصلوات الطيبات والتحيات الزاكيات الناميات وعليه وعليهم السلام والرحمة
والبركات في الماضين والغابرين ابد الآبدين ودهر الداهرين وهم اهله ومستحقه قد شرحت لك يا مفضل
من الادلة على الخلق والشواهد على صواب التدبير والعمد في الانسان والحيوان والنبات والشجر وغير ذلك
ما فيه عبرة لمن اعتبر وانا اشرح لك الآن الآفات الحادثة في بعض الازمان التي اتخذها اناس من الجهال
ذريعة الى جحود الخلق والخالق والعمد والتدبير وما انكرت المعطلة والمنانية من المكاره والمصائب وما انكروه من الموت

والفناء

والفناء وما قاله اصحاب الطبائع ومن زعم ان كون الاشياء بالعرض والاتفاق ليتسع ذلك القول في الرد عليهم قاتلهم الله
انى يؤفكون اتخذ اناس من الجهال هذه الآفات الحادثة في بعض الازمان كالوباء واليرقان والبرد والجراد
ذريعة الى جحود الخلق والتدبير والخالق فيقال في جواب ذلك انه ان لم يكن خالق ومدبر فلم لا يكون ما هو اكثر
من هذا وافظع فمن ذلك ان تسقط السماء على الارض وتهوي الارض فتذهب سفلا وتتخلف الشمس عن الطلوع
اصلا وتجف الانهار والعيون حتى لا يوجد ماء للشفة وتركد الريح حتى تخم الاشياء وتفسد ويفيض ماء البحر
على الارض فيغرقها ثم هذه الآفات التي ذكرناها من الوباء والجراد وما اشبه ذلك ما بالها لا تدوم وتمتد
حتى تجتاح كل ما في العالم بل تحدث في الاحايين ثم لا تلبث ان ترفع افلا ترى ان العالم يصان ويحفظ من تلك
الاحداث الجليلة التي لو حدث عليه شيء منها كان فيه بواره ويلذع احياناً بهذه الآفات اليسيرة لتأديب
الناس وتقويمهم ثم لا تدوم هذه الآفات بل تكشف عنهم عند القنوط منهم فيكون وقوعها بهم موعظة وكشفها
عنهم رحمة وقد انكرت المعطلة ما انكرت المنانية من المكاره والمصائب التي تصيب الناس فكلاهما يقول
ان كان للعالم خالق رؤوف رحيم فلم تحدث فيه هذه الامور المكروهة والقائل بهذا القول يذهب الى انه
ينبغي ان يكون عيش الانسان في هذه الدنيا صافياً من كل كدر ولو كان هكذا كان الانسان يخرج من الاشر والعتو
الى ما لا يصلح في دين ولا دنيا كالذي ترى كثيراً من المترفين ومن نشأ في الجدة والامن يخرجون اليه حتى ان احدهم
ينسى انه بشر او انه مربوب او ان ضرراً يمسه او ان مكروهاً ينزل به او انه يجب عليه ان يرحم ضعيفاً او يواسي
فقيراً او يرثي لمبتلى او يتحنن على ضعيف او يتعطف على مكروب فاذا عضته المكاره ووجد مضضها اتعظ

والصبر كثيرا ما كان حمله وخفف عنه ورجح لا كثير لا اكثر ما كان يكب عليه والمكروه لهذه الامور المؤذية بمنزلة

الصبيان الذين يذمون الادوية المرة والبشعة ويستخطون من المنع من الاطعمة الضارة ويكرهون الادب والعمد

ويكرهون ان يمنعوا اللهو والبطالة ونيل كل مطعم ومشرب ولا يعرفون ما يؤديهم اليه البطالة من سوء الشره والى

وما يعقبهم الاطعمة اللذيذة الضارة من الادواء والاسقام وما لهم في الادب من الصلاح وفي الادوية من المنفعة وان

شابه ذلك بعض الكراهة فان قالوا ولم لم يجعل الانسان موصولا من المبادي حتى لا يحتاج لا الى بذعة بعده المكاره

قيل انه كان يكون غير محمود على حسنة يأتيها ومستحق للثواب عليها فان قالوا وما كان بضره ان لا يكون

محمودا على الحسنات مستحقا للثواب بعد ان يصير الى غاية النعيم واللذة قيل لهم اعرضوا على من له صحيح الحس والتعقب

ان كمل منعما وكفى كل ما يحتاج اليه بلا سعي واستحقاق فانظر هل تتقيد نفسه تلك بما يتجدد له بالتقليد ما نال

بالسعي والحركة اشد اغتباطا وسرورا منه بالكثير مما يناله بغير استحقاق وكذلك نعيم الآخرة ايضا يكمل اللذة بان

يناله بالسعي فيه والاستحقاق له فالنعمة على الانسان في هذا الباب مضاعفة فان اعد له الثواب الجزيل على سعيه في

هذه الدنيا وجعل له السبيل الى ان ينال ذلك بسعيه واستحقاقه فيكمل له السرور والاغتباط بما يناله منه فان قالوا

اوليس قد يكون من الناس من يركن الى ما ... خيرا وكان لا سبيل في الحجة منع من حرص ان ينال نعيم الآخرة

على هذه الحجة قيل لهم ان هذا باب يرجع للناس ليخرجوا الى غاية الكلف والضرر على الفواحش والمهالك كان

فمن كان يكلف نفسه عن فاحشة او يتحمل المشقة في باب من ابواب البر او وثق بانه صائر الى النعيم لا محالة او

يأمن على نفسه واهله وماله من الناس لو لم يكن خوف الحساب والعقاب فكفى هذا الباب ما يسال الناس في هذه الدنيا

قبل الآخرة

قبل الآخرة فيكون في ذلك تعطيل العمل والحكمة معا وموضع للطعن على الله في كتاب الصواب ووضع الامور

غير مواضعها وقد يتعلق هؤلاء بالآفات التي تصيب الناس فيعم البر والفاجر او يتبع بها البر ويسلم الفاجر منها

فقالوا كيف يجوز في هذا تدبير الحكيم وما الحجة فيه فيقال لهم ان هذه الآفات وان كانت تنال الصالح

والطالح جميعا فان الله جعل ذلك صلاحا للصنفين كليهما اما الصالحون فان الذي يصيبهم من هذه

نعم ربهم عنهم في سالف ايامهم فيدوم ذلك على الشكر والصبر واما الطالحون فانه متى هذا اذا نالهم كسر شرتهم

وردعهم عن المعاصي والفواحش وكذلك يجد من سلم منهما من الصنفين صلاحا في ذلك اما الابرار فانهم يغتبطون

بما هم عليه من البر والصلاح ويزدادون فيه رغبة وبصيرة واما الفجار فانهم يعرفون رأفة ربهم وتطوله

عليهم بالسلامة على غير استحقاق منهم وذلك على الرأفة بالناس والصفح عن جرائرهم ولعل قائلا يقول

ان هذه الآفات التي تصيب الناس في اموالهم فما قولك فيما يبتلون به في ابدانهم كالقتل والتلف

كمثل الحرق والغرق والسيل والخسف فيقال له ان الله جعل في هذا ايضا صلاحا للصنفين جميعا اما الابرار

فلما لهم في مفارقة هذه الدنيا من الراحة من تكاليفها والنجاة من مكارهها واما الفجار فلما لهم في ذلك من

تمحيص اوزارهم وحبسهم عن الازدياد منها وجملة القول ان الامثال التي ذكره بحكمة وقدر العرف هذه الامور كلها الى

الخيرة والمنفعة كما انه اذا قطعت الريح شجرة او قطعت كله اخذها الصانع الرفيق واستعملها في ضروب

المنافع فكذلك يفعل المدبر الحكيم في الآفات التي تنزل بالناس في ابدانهم واموالهم فيصرفها كلها جميعا الى الخيرة

والمنفعة فان قال ولم لم يكن شيء الناس تقدر له كيلا يركن الا المقصر من طول المدة في ... القادح وركوب

المعاصي ويفتر الصالح عن الاجتهاد في البر فان هذين الامرين جميعا يغلبان على الناس في حال الخفض والدعة وهذه
الحوادث التي تحدث عليهم تردعهم وتنبههم على ما فيه رشدهم فلو خلوا منها لغلوا في الطغيان والمعصية
كما غلا الناس في اول الزمان حتى وجب عليهم البوار بالطوفان وتطهير الارض منهم ومما ينتقده الجاحدون
للعمد والتقدير الموت والفناء فانهم يذهبون الى انه ينبغي ان يكون الناس مخلدين في هذه الدنيا مبرئين
من الآفات فينبغي ان يساق هذا الامر الى غايته فينظر ما محصوله افرايت لو كان كل من دخل العالم ويدخله يبقون
ولا يموت احد منهم الم تكن الارض تضيق بهم حتى تعوزهم المساكن والمزارع والمعاش فانهم والموت يفنيهم اولا
فاولا يتنافسون في المساكن والمزارع حتى تنشب بينهم في ذلك الحروب وتسفك فيهم الدماء فكيف كانت تكون
حالهم لو كانوا يولدون ولا يموتون وكان يغلب عليهم الحرص والشره وقساوة القلوب فلو وثقوا بانهم
لا يموتون لما قنع الواحد منهم بشيء يناله ولا افرج لاحد عن شيء يسأله ولا سلا عن شيء مما يحدث عليه ثم كانوا
يملون الحيوة وكل شيء من امور الدنيا كما يمل الحيوة من طال عمره حتى يتمنى الموت والراحة من الدنيا فان قالوا
انه كان ينبغي ان يرفع عنهم المكاره والاوصاب حتى لا يتمنوا الموت ولا يشتاقوا اليه فقد وصفنا
ما كان يخرجهم اليه من العتو والاشر الحامل لهم على ما فيه فساد الدين والدنيا وان قالوا انه كان ينبغي ان لا يتوالدوا
كيلا تضيق عليهم المساكن والمعاش قيل لهم اذا كان يحرم اكثر هذا الخلق دخول العالم والاستمتاع بنعم الله
ومواهبه في الدارين جميعا اذا لم يدخل العالم الا قرن واحد لا يتوالدون ولا يتناسلون فان قالوا
كان ينبغي ان يخلق في ذلك القرن الواحد من الناس مثل ما خلق ويخلق الى انقضاء العالم يقال لهم رجع الامر

لما ذكرنا

من ضيق المساكن والمعاش عليهم ثم لو كانوا لا يتوالدون ولا يتناسلون لذهب موضع الانس بالقرابات
وذوي الارحام والانتصار بهم عند الشدائد وموضع تربية الاولاد والسرور بهم ففي هذا دليل على ان كل
ما تذهب اليه الاوهام سوى ما جرى به التدبير خطأ وسفه من الراي والقول ولعل طاعنا يطعن على التدبير
من جهة اخرى فيقول كيف يكون ها هنا تدبير ونحن نرى الناس في هذه الدنيا من عز بز فالقوي
يظلم ويغصب والضعيف يظلم ويسام الخسف والصالح فقير مبتلى والفاسق معافى موسع عليه ومن ركب
فاحشة او انتهك محرما لم يعاجل بالعقوبة فلو كان في العالم تدبير لجرت الامور على القياس القائم فكان
الصالح هو المرزوق والطالح هو المحروم وكان القوي يمنع من ظلم الضعيف والمنتهك للمحارم يعاجل بالعقوبة
فيقال في جواب ذلك ان هذا لو كان هكذا لذهب موضع الاحسان الذي فضل به الانسان على غيره من
الخلق وحمل النفس على البر والعمل الصالح احتسابا للثواب وثقة بما وعد الله منه ولصار الناس بمنزلة
الدواب التي تساس بالعصا والعلف ويلمع لها بكل واحد منهما ساعة فساعة فتستقيم على ذلك ولم
يكن احد يعمل على يقين بثواب او عقاب حتى كان هذا يخرجهم من حد الانسية الى حد البهائم ثم لا يعرف ما غاب
ولا يعمل الا على الحاضر وكان يحدث من هذا ايضا ان يكون الصالح انما يعمل الصالحات للرزق والسعة
في هذه الدنيا ويكون الممتنع من الظلم والفواحش انما يعف عن ذلك لترقب عقوبة تنزل به من ساعته
حتى تكون افعال الناس كلها تجري على الحاضر لا يشوبها شيء من اليقين بما عند الله ولا يستحقون ثواب الآخرة
والنعيم الدائم فيها مع ان هذه الامور التي ذكرها الطاعن من الغنى والفقر والعافية والبلاء ليست بجارية على خلاف

فإنه قد يجري على ذلك أحيانا والأمر المفهوم فقد ترى كثيرا من الصالحين يرزقون المال لضروب من التدبير
وكيلا يسبق إلى قلوب الناس أن الكفار هم المرزوقون والأبرار هم المحرومون فيؤثرون الفسق على الصلاح
وترى كثيرا من الفساق يعاجلون بالعقوبة إذا تفاقم طغيانهم وعظم ضررهم على الناس وعلى أنفسهم كما عوجل فرعون
بالغرق وبخت نصر بالتيه وبلبيس بالقتل وإن أمهل بعض الأشرار بالعقوبة وأخر بعض الأخيار بالثواب إلى
دار الآخرة لأسباب تخفى على العباد لم يكن هذا مما يبطل التدبير فإن مثل هذا قد يكون من ملوك الأرض ولا يبطل تدبيرهم
بل يكون تأخيرهم ما أخروه أو تعجيلهم ما عجلوه داخلا في صواب الرأي والتدبير وإذا كانت الشواهد تشهد
وقياسهم يوجب أن للأشياء خالقا حكيما قادرا فما يمنعه أن يدبر خلقه فإنه لا يصح في قياسهم أن يكون الصانع
يهمل صنعته إلا بإحدى ثلاث خلال إما عجز وإما جهل وإما شرارة وكل هذه محال في صنعته عز وجل وتعالى ذكره
وذلك أن العاجز لا يستطيع أن يأتي بهذه الخلائق الجليلة العجيبة والجاهل لا يهتدي لما فيها من الصواب والحكمة والشرير
لا يتطاول لخلقها وإنشائها وإذا كان هذا هكذا وجب أن يكون الخالق لهذه الخلائق يدبرها لا محالة وإن كان
لا يدرك كنه ذلك التدبير ومخارجه فإن كثيرا من تدبير الملوك لا تفهمه العامة ولا تعرف أسبابه لأنها لا تعرف دخلة
أمر الملوك وأسرارهم فإذا عرف سببه وجد قائما على الصواب والشاهد المحنة ولو شككت في بعض الأدوية والأطعمة
فتبين لك من جهتين أو ثلاث أنه حار أو بارد ألم تكن ستقضي عليه بذلك وتنفي الشك فيه عن نفسك فما بال
هؤلاء الجهلة لا يقضون على العالم بالخلق والتدبير مع هذه الشواهد الكثيرة وأكثر منها ما لا يحصى كثرة
لو كان نصف العالم وما فيه مشكلا صوابه لما كان من حزم الرأي وسمت الأدب أن يقضي على العالم بالإهمال

لأنه

لأنه كان في النصف الآخر وما يظهر فيه من الصواب والإتقان ما يردع الوهم عن التسرع إلى هذه القضية
فكيف وكل ما فيه إذا فتش وجد على غاية الصواب حتى لا يخطر بالبال شيء إلا وجد ما عليه الخلقة أصح وأصوب منه
واعلم يا مفضل أن اسم هذا العالم بلسان اليونانية الجاري المعروف عندهم قوسموس وتفسيره الزينة وكذلك
سمته الفلاسفة ومن ادعى الحكمة أفكانوا يسمونه بهذا الاسم إلا لما رأوا فيه من التقدير والنظام فلم يرضوا أن يسموه
تقديرا ونظاما حتى سموه زينة ليخبروا أنه مع ما هو عليه من الصواب والإتقان على غاية الحسن والبهاء عجب يا مفضل
من قوم لا يقضون على صناعة الطب بالخطأ وهم يرون الطبيب يخطئ ويقضون على العالم بالإهمال ولا يرون
شيئا منه مهملا بل العجب من أخلاق من ادعى الحكمة حتى جهلوا مواضعها في الخلق فأرسلوا ألسنتهم بالذم للخالق جل وعلا
بل العجب من المخذول ماني حين ادعى علم الأسرار وعمي عن دلائل الحكمة في الخلق حتى نسبه إلى الخطأ ونسب خالقه
إلى الجهل تبارك الحليم الكريم وأعجب منهم جميعا المعطلة الذين راموا أن يدرك بالحس ما لا يدرك بالعقل
فلما أعوزهم ذلك خرجوا إلى الجحود والتكذيب فقالوا ولم لا يدرك بالعقل قيل لأنه فوق مرتبة العقل كما
لا يدرك البصر ما هو فوق مرتبته فإنك لو رأيت حجرا يرتفع في الهواء علمت أن راميا رمى به فليس هذا العلم
من قبل البصر بل من قبل العقل لأن العقل هو الذي يميزه فيعلم أن الحجر لا يذهب علوا من تلقاء نفسه أفلا ترى
كيف وقف البصر على حده فلم يتجاوزه وكذلك يقف العقل على حده من معرفة الخالق فلا يعدوه ولكن يعقله
بعقل أقر أن فيه نفسا ولم يعاينها ولم يدركها بحاسة من الحواس وعلى حسب هذا أيضا نقول إن العقل يعرف الخالق
من جهة توجب عليه الإقرار ولا يعرفه بما يوجب له الإحاطة بصفته فإن قالوا فكيف يكلف العبد الضعيف

عجب يا مفضل

كتابخانه آستان قدس

معرفة بالعقل اللطيف ولا يحيط به قيل لهم إنما كلف العباد من ذلك ما في طاقتهم أن يبلغوه وهو أن يوقنوا به ويقفوا
عند أمره ونهيه ولم يكلفوا الإحاطة بصفته كما أن الملك لا يكلف رعيته أن يعلموا أطويل هو أم قصير أبيض هو
أم أسمر وإنما يكلفهم الإذعان لسلطانه والانتهاء إلى أمره ألا ترى أن رجلا لو أتى باب الملك فقال أعرض
علي نفسك حتى أتقصى معرفتك وإلا لم أسمع لك كان قد أحل نفسه العقوبة فكذا القائل إنه لا يقر بالخالق
سبحانه حتى يحيط بكنهه متعرض لسخطه فإن قالوا أوليس قد يصفه فيقول هو العزيز الحكيم الجواد الكريم قيل لهم كل هذه صفات
إقرار وليست صفات إحاطة فإنا نعلم أنه حكيم ولا نعلم بكنه ذلك منه وكذلك قدير وجواد وسائر صفاته
كما قد نرى السماء ولا ندري ما جوهرها ونرى البحر ولا ندري أين منتهاه بل فوق هذا المثال بما لا نهاية له
لأن الأمثال كلها تقصر عنه ولكنها تقود العقل إلى معرفته فإن قالوا ولم يختلف فيه قيل لهم لقصر الأوهام عن مدى
عظمته وتعديها أقدارها في طلب معرفته وأنها تروم الإحاطة به وهي تعجز عن ذلك وما دونه فمن ذلك هذه الشمس التي
تراها تطلع على العالم ولا يوقف على حقيقة أمرها ولذلك كثرت الأقاويل فيها واختلفت الفلاسفة المذكورون
في وصفها فقال بعضهم هو فلك أجوف مملوء نارا له فم يجيش بهذا الوهج والشعاع وقال آخرون هو سحابة
وقال آخرون هو جسم زجاجي يقبل نارية في العالم ويرسل عليه شعاعها وقال آخرون هو من جوهر خامس سوى
الجواهر الأربعة ثم اختلفوا في شكلها فقال بعضهم هي بمنزلة صحيفة عريضة وقال آخرون هي
كالكرة المدحرجة وكذلك اختلفوا في مقدارها فزعم بعضهم أنها مثل الأرض سواء وقال آخرون بل هي أقل
من ذلك وقال آخرون بل هي أعظم من الجزيرة العظيمة وقال أصحاب الهندسة هي أضعاف الأرض مائة وسبعون مرة

اختلاف

هذه الأقاويل منهم في الشمس دليل على أنهم لم يقفوا على الحقيقة من أمرها فإذا كانت هذه الشمس التي يقع عليها
البصر ويدركها الحس قد عجزت العقول عن الوقوف على حقيقتها فكيف ما لطف عن الحس واستتر عن الوهم فإن قالوا
ولم استتر قيل لهم لم يستتر بحيلة يخلص إليها كمن يحتجب عن الناس بالأبواب والستور وإنما معنى قولنا استتر أنه لطف عن مدى
ما تبلغه الأوهام كما لطفت النفس وهي خلق من خلقه وارتفعت عن إدراكها بالنظر فإن قالوا ولم لطف وتعالى
عن ذلك علوا كبيرا كان ذلك خطأ من القول لأنه لا يليق بالذي هو خالق كل شيء إلا أن يكون مباينا لكل شيء متعاليا
عن كل شيء سبحانه وتعالى فإن قالوا كيف يعقل أن يكون مباينا لكل شيء ومتعاليا قيل لهم الحق الذي تطلب معرفته
من الأشياء هو أربعة أوجه فأولها أن ينظر أموجود هو أم ليس بموجود والثاني أن يعرف ما هو في ذاته وجوهره
والثالث أن يعرف كيف هو وما صفته والرابع أن يعلم لماذا هو ولأية علة فليس من هذه الوجوه شيء
يمكن المخلوق أن يعرفه من الخالق حق معرفته غير أنه موجود فقط فإذا قلنا وكيف وما هو فممتنع علم كنهه وكمال المعرفة
به وأما لماذا هو فساقط في صفة الخالق لأنه جل ثناؤه علة كل شيء وليس شيء بعلة له ثم ليس علم الإنسان
بأنه موجود يوجب له أن يعلم ما هو وكيف هو كما أن علمه بوجود النفس لا يوجب أن يعلم ما هي وكيف هي وكذلك
الأمور الروحانية اللطيفة فإن قالوا فأنتم الآن تصفون من قصور العلم عنه وصفا حتى كأنه غير معلوم قيل لهم
هو كذلك من جهة إذا رام العقل معرفة كنهه والإحاطة به وهو من جهة أخرى أقرب من كل قريب إذا استدل
عليه بالدلائل الشافية فهو من جهة كالواضح لا يخفى على أحد ومن جهة كالغامض لا يدركه أحد وكذلك العقل
أيضا ظاهر بشواهده ومستور بذاته فأما أصحاب الطبائع فقالوا إن الطبيعة لا تفعل شيئا لغير معنى ولا تتجاوز

تمام الشيء في طبيعته وزعموا ان الحجة تشهد بذلك فقيل لهم من اعطى الطبيعة هذه الحكمة والوقوف على حدود الاشياء
بلا مجاوزة لها وهذا قد يعجز عنه العقول بعد طول التجارب فان اوجبوا للطبيعة الحكمة والقدرة على مثل هذه الافعال
فقد اقروا بما انكروا لان هذه من صفات الخالق وان انكروا ان يكون هذا للطبيعة فهذا وجه الخلق يهتف
بان الفعل للخالق الحكيم وقد كان من القدماء طائفة انكروا العمد والتدبير في الاشياء وزعموا ان كونها بالعرض
والاتفاق وكان مما احتجوا به هذه الآفات التي تلد غير مجرى العرف والعادة كالانسان يولد ناقصا او زائدا
اصبعا او يكون المولود مشوها مبدل الخلق فجعلوا هذا دليلا على ان كون الاشياء ليس بعمد وتقدير بل بالعرض والاتفاق
كيف ما اتفق ان يكون وقد كان ارسطاطاليس رد عليهم فقال ان الذي يكون بالعرض والاتفاق انما هو شيء يأتي
في الفرط مرة لاعراض تعرض للطبيعة فتزيلها عن سبيلها وليس بمنزلة الامور الطبيعية الجارية على شكل واحد جريا دائما
متتابعا وانت يا مفضل ترى اصناف الحيوان ان يجري اكثر ذلك على مثال ومنهاج واحد كالانسان يولد وله يدان
ورجلان وخمس اصابع كما عليه الجمهور من الناس فاما ما يولد على خلاف ذلك فانه لعلة تكون في الرحم
او في المادة التي ينشأ منها الجنين كما يعرض في الصناعات حين يتعمد الصانع الصواب في صنعته فيعوق دون ذلك
عائق في الاداة او في الآلة التي يعمل فيها الشيء فقد يحدث مثل ذلك في اولاد الحيوان للاسباب التي وصفنا فيأتي
الولد زائدا او ناقصا او مشوها ويسلم اكثرها فيأتي سويا لا علة فيه فكما ان الذي يحدث في بعض الاعمال الاعراض
لعلة فيه لا توجب عليها جميعا الاهمال وعدم الصانع كذلك ما يحدث على بعض افعال الطبيعة لعائق يدخل عليها
لا يوجب ان يكون جميعها بالعرض والاتفاق فقول من قال في الاشياء ان كونها بالعرض والاتفاق من قبل ان شيئا منها

يأتي على

يأتي على خلاف الطبيعة يعرض له خطأ وخطل فان قالوا ولم صار مثل هذا يحدث في الاشياء قيل لهم
ليعلم انه ليس كون الاشياء باضطرار من الطبيعة ولا يمكن ان يكون سواه كما قال القائلون بل هو تقدير
وعمد من خالق حكيم اذ جعل الطبيعة تجري اكثر ذلك على مجرى ومنهاج معروف ويزول احيانا عن ذلك لاعراض تعرض لها
فيستدل بذلك على انها مصرفة مدبرة فقيرة الى ابداء الخالق وقدرته في بلوغ غايتها واتمام عملها تبارك الله
احسن الخالقين يا مفضل خذ ما آتيتك واحفظ ما منحتك وكن لربك من الشاكرين ولآلائه من الحامدين ولاوليائه من المطيعين فقد
شرحت لك من الادلة على الخلق والشواهد على صواب التدبير والعمد قليلا من كثير وجزءا من كل فتدبره وفكر فيه واعتبر به
فقلت بمعونتك يا مولاي اقوى على ذلك وابلغه ان شاء الله فوضع يده على صدري فقال احفظ بمشية الله
ولا تنس ان شاء الله فخررت مغشيا علي فلما افقت قال كيف ترى نفسك يا مفضل فقلت قد استغنيت
بمعونة مولاي وتأييده عن الكتاب الذي كتبته وصار ذلك بين يدي كانما اقرؤه من كفي فلمولاي الحمد والشكر
كما هو اهله ومستحقه فقال يا مفضل فرغ قلبك واجمع اليك ذهنك وعقلك وطمأنينتك فسالقي عليك
من علم ملكوت السموات والارض وما خلق الله بينهما وفيهما من عجائب خلقه واصناف الملائكة وصفوفهم ومقاماتهم
ومراتبهم الى سدرة المنتهى وسائر الخلق من الجن والانس الى الارض السابعة السفلى وما تحت الثرى حتى يكون ما وعيته
جزءا من اجزاء انصرف اذا شئت مصاحبا مكلوا فانت منا بالمكان الرفيع وموضعك من قلوب المؤمنين
موضع الماء من الصدى ولا تسألن عما وعدتك حتى احدث لك منه ذكرا قال المفضل فانصرفت من عند مولاي
بما لم ينصرف احد بمثله والحمد لله رب العالمين تم بعون الله على يد الاقل محمد جعفر في ٢ شهر ربيع الاول سنة ١٢٠٠

بازبینی شد
۱۳۷۱ ش

سال ۱۳۴۸ خورشیدی
بازبینی شد

بازبینی شد
ش

۱۲۵۳ ق

سال ۱۳۴۸ خورشیدی
بازبینی شد

ترجمه مقتل
۱۹۵۴